جامعة عمار ثليجي بالأغواط

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية و الحضارة

قسم التاريخ

عنوان المذكرة:

اثر جامع الزيتونة على الحركة الإصلاحية في الجزائر

مدينة الاغواط أنموذجا (1900–1954)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تاريخ

التخصص: تاريخ المغرب العربي المعاصر

إعداد الطالب :

يوسف قريبيز

إشراف الأستاذ:

أ.د: محمود علالي

الموسم الجامعي: 2024 / 2025

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

{قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين}

قبل كل أحد، وبعد كل أحد، الشكر لله الواحد الأحد ،الحمد لله حبا وشكرا وإمتنانا على لذة الإنجاز والحمد لله عند البدء والختام

أتقدم بخالص الشكر والتقدير وعظيم الإمتنان إلى أستاذي المشرف

" محمود علالي "

على كل ماقدمه لي من نصائح وتوجيهات بكل حرص لإنجاز هذا العمل، والوقوف معي في كل خطوة بإرشاداته دون أن يبخل علي كعادته ولتقديم مذكرتي بالصورة المطلوبة فجزاه الله كل خير وأدامه ذخرا للأمة

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى كل الأساتذة بقسم التاريخ الذين تتلمذنا على أيديهم ورافقونا رحلتنا وبثوا فينا حب العلم والبحث بكل تشويق ومنافسة لنصل إلى مانحن عليه

كل الشكرإلى اللجنة المناقشة التي تقيم البحث لنهتدي إلى طريق الحقيقة التاريخية بمصداقية

كما أشكر كل من مد لي يد العون من بعيد أو قريب

اهداء

قال تعالى:

{ وقل إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون }

الحمد لله وكفى والصلاة على الحبيب المصطفى وأهله ومن وفى.

الحمد لله الذي وهبنا التوفيق والسداد ومنحنا الثبات وأعاننا على إتمام هذا العمل أما بعد:

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى والدي الكريم رحمة الله عليه

الى الغالية اطال الله في عمرها امي

الى إخوتي وأخواتي حفظهم الله

والى روح اخي الطاهر " موسى "

الى زوجتي وأبنائي قرة عيني

إلى من شجعوني وكانو عونا لي

إلى كل من علمني حرفا أخلصت له ودا وحفظت له جميلا وصرت له محبا

ودعوت له سرا وجهرا اللهم بارك فيهم إلى الجميع

مقدمة

مقدمة:

شهد العالم الإسلامي ظهور حركات إصلاحية دينية متنوّعة عبر التاريخ، حيث هدفت أساسًا إلى تشخيص الواقع المتردّي الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية والمجتمعات العربية خلال فترات مختلفة خصوصا في مراحل الاستعمار الغاشم، وما تعّرضت له هذه المجتمعات من عوامل تهديد وتفكيك للنسيج المجتمعي وهوية وثقافة الأمة بكل عاداتها وتقاليدها.

وقد جاءت هذه الحركات كردّ فعل على الظروف الاستعمارية القاسية التي أثّرت على مختلف جوانب الحياة ومن الجدير بالذكر أن هذه الحركات شهدت تطورًا ملحوظًا بنهاية القرن التاسع عشر وحلول منتصف القرن العشرين، حيث تبلورت جهودها في صورة كفاح مسلح كخيارٍ نهائي لا رجعة فيه لتحرير الأرض والهوية .

وانطلاقًا من هذا السياق، تركّز هذه الدراسة الحالية على منطقة المغرب العربي كحلقة وصل تأثّرت بالإشعاع الفكري المشرقي، حيث تعود جذور ظهور الحركة الإصلاحية في المغرب العربي إلى تأثّر روّادها بأفكار كبار المفكّرين في المشرق العربي، سواء من خلال الاطلاع على كتاباتهم أو الاحتكاك المباشر بهم. ومن هنا، تسعى هذه الدراسة إلى تحليل مدى صحّة هذه التأثيرات الفكرية، ورصد أوجه التلاقي بين مشايخ المشرق والمغرب، مع التركيز على مدى تفاعل الأفكار بينهما .

وتبرز دولة تونس في هذا الإطار بوصفها مركزًا إشعاعيًا مهمًا، نظرًا لاحتضانها جامع الزيتونة العريق، التي تمثل إحدى أقدم المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي بدون منازع وقد أدّى الجامع دورًا محوريًا في تشكيل الوعي الثقافي والفكري لدى الطلبة الجزائريين الذين تلقّوا علومهم فيه، حيث أصبحوا لاحقًا رموزًا للمقاومة الفكرية والثقافية ضد الاستعمار .

وبينما يبدو تأثير الزيتونة جليًا على الحركة الوطنية التونسية، فإن صلته بالحركة الإصلاحية الجزائرية كانت وثيقةً جدا وعلى مستويات التأثّر والتأثير. لذا فإن دراسة الحركة الإصلاحية الجزائرية في هذه المرحلة تتطلّب بالضرورة فهم العلاقة العميقة بينها وبين تونس

كدولة وجامع الزيتونة بصورة خاصة، هذا ولتتبّع مسار الإصلاح وأهدافه، لا بد من العودة إلى الزيتونة، حيث تخرّج معظم زعماء الإصلاح في الجزائر، وهو ما يُعزى إلى عوامل تاريخية وجغرافية ستُفصّلها هذه الدراسة لاحقًا .

فكانت العلاقة الكبيرة بين جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر عامة وفي الجنوب الجزائري بصفة خاصة وولاية الاغواط كمجال لدراستنا، حيث ان بعض المصلحين الذي التحقوا بجامع الزيتونة كانوا من الوافدين لهذه البلدة الطيبة أمثال الشيخ الميلي وابناءها أحمد شطة والشيخ أبو بكر الحاج عيسى وغيرهم

شكَّل الجنوب الجزائري بامتداده الصحراوي وخصوصيته الثقافية والمجتمعية بيئةً فريدةً للحركة الإصلاحية، التي ظهرت كردّ فعل على السياسات الاستعمارية الفرنسية والانحرافات الدينية والاجتماعية. تميّزت هذه الحركة بتأثّرها بالمنهج الإصلاحي المشرقي (كابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب) والمغاربي (كابن باديس والزيتونيين)، لكنّها طوّرت أدواتها بما يتناسب مع واقع المجتمع الصحراوي

أسباب إختيار الموضوع:

وقع اختيارنا على دراسة هذا الموضوع لعدة أسباب منها الأسباب الذاتية وأخرى موضوعية

الأسباب الذاتية:

- الرغبة في الدارسة والتعمق في التاريخ المحلي لمدينة الأغواط
- اقتراحات وتوصيات الأستاذ المشرف

الأسباب الموضوعية :

-الرغبة في التعرف أكثر على جامع الزيتونة بتونس كمؤسسة دينية وتعليمية وكيف ساهم في ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر

-إبراز دور جامع الزيتون في إذكاء الشعور القومي والوطني وتوضيح أثر العنصر الجزائري في تونس سواء في المؤسسات التعليمية أو في الحقل السياسي والثقافي كامتداد للحركة الإصلاحية الجزائرية التي ألقت بضلالها على كامل أقطار البلدان المغاربية.

- إبراز العلاقة بين جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر والتي تبين لنا الانصهار الذي حصل بين الجزائر وتونس، ومدى الترابط بين الشعبين الذي كان له أثر كبير على القطرين.

مجالات الدراسة

المجال الزماني: تمحورت دراستنا خلال الفترة الزمنية لتاريخ جامع الزيتونة خلال مراحل تطوره التاريخية، وبالنسبة لمشايخ الحركة الإصلاحية في الجزائر ونشاطاتها بمنطقة الاغواط خلال سنوات النصف الأول من القرن العشرين

المجال المكاني: شمل المجال المكاني دولة تونس ودولة الجزائر عامة وبالخصوص مدينة الاغواط كمجال للدراسة.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في النقاط الاتية:

- المكانة العلمية والثقافية لجامع الزيتونة في منطقة المغرب العربي وتأثيراتها على الحركة الإصلاحية المغاربية.

- ظهور الحركات الإصلاحية بالجزائر بالموازاة مع هجرة بعض الطلبة الجزائريين الى تونس واكتسابهم الكثير من المعارف والعلوم ومناهجها.

- موقع مدينة الاغواط من الحراك العلمي الذي شهدتها الجزائر خلال تلك السنوات بالتحاق الشيخ مبارك ميلي بالمدينة وعودة بعض مشايخ الاغواط وعلى رأسهم الشيخ أحمد شطة وبداية أنشطتهم الإصلاحية .

أهداف الدراسة :

كان هدفنا من دراسة هذا الموضوع هو الإطلاع على الأعمال الإصلاحية لطلبة الجزائريين والزيتونيين التي نهضت بالمجتمع الإسلامي والجزائري بصفة خاصة وتبلور الحركة الإصلاحية في الجزائر على يد هؤلاء المصلحين.

لذلك رأينا أن هناك حاجة ماسة لتسليط الضوء على أبرز الوجوه والمؤسسات الدينية والتعليمية كجامع الزيتونة الجزائرية الذي لعب دورا مهما في إعادة البعث واحياء المقومات الشخصية والوطنية والحفاظ على الهوية

التعرف على اهم المصلحين الذين قادوا الإصلاح في الجنوب الجزائري بالخصوص مدينة الاغواط انطلاقا من الحركات الإصلاحية وموازاة مع التكوين في جامع الزيتونة.

إشكالية البحث:

إن نقطة البحث الأساسية التي انطلقنا منها في هذا الموضوع هي محاولة تبيان تلك العلاقة التي كانت بين جامع الزيتونة وحركة الإصلاح والتجديد في الجزائر وبالخصوص مدينة الاغواط ومن ثم إبراز دور حركة الإصلاح في الساحة العلمية والفكرية.

والإشكال الأكثر إثارة في هذا الموضوع هو الوقوف على العلاقة بين المصلحين المجددين في الجزائر والمؤسسة الدينية الثقافية جامع الزيتونة حيث تمحورت إشكالية هذا البحث حول:

إلى أي مدى ساهم جامع الزيتونة في بروز وتطور الحركة الإصلاحية في الجزائر ونشاطاتها بمنطقة الاغواط؟

ويندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات تتمثل أساسا في

- كيف كانت نشأة جامع الزيتونة وماهي أبرز الأدوار من خلال التغييرات التي طرأت عليه عبر التاريخ؟
- ما تأثير العلاقة بين التكوين في جامع الزيتونة والحركات الإصلاحية في الجزائر؟
- فيما تمثل نشاط المصلحين في الاغواط ؟ وما أهم أبرز اسهاماتهم؟

للجابة على إشكالية البحث وضعت خطة من ثلاث فصول

– الفصل الأول: الذي كان بعنوان جامع الزيتونة النشأة والتطور حيث تضمن المبحث الأول: نبذة عن جامع الزيتونة ثم المبحث الثاني : التطور التاريخي الجامع الزيتونة وفي الأخير المبحث الثالث: التطور العلمي الجامع الزيتونة

– الفصل الثاني: الحركة الإصلاحية في الجزائر تضمن هو الاخر ثلاث مباحث المبحث الأول: تاريخ الحركة الإصلاحية أما المبحث الثاني فكان ارواد الاصلاح في الجزائر وفي المبحث الثالث: جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر

– الفصل الثالث: اسهامات جامع الزيتونة في الحركة الإصلاحية بمنطقة الاغواط جاء في 3 مباحث خصص المبحث الأول: النشاط الإصلاحي في منطقة الاغواط قبل مجيء مبارك الميلي أما المبحث الثاني بعنوان النشاط الإصلاحي للشيخ مبارك الميلي وفي المبحث الثالث : النشاط الإصلاحي أحمد شطة

جاءت الخاتمة عبارة عن مجموعة من النتائج التي تعتبر كخلاصة عامة للتساؤلات المطروحة حول موضوع البحث.

منهج الدراسة

للإجابة على الإشكالية موضوع الدراسة اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي هذا لأن طبيعة الموضوع في أول الدراسة يقتضي ذلك وباعتبار أن البحث يتناول سردا تاريخي لنشأة وتطور جامع الزيتونة وظهور الحركة الإصلاحية الجزائرية وتأكيد العلاقة بينهما ومدى تأثير على تكوين المصلحين ودورهم في المجتمع الجزائري.

ومن ثم عملية الوصف لنشاطات الحركة الإصلاحية في مدينة الاغواط في المجال الديني والتعليمي والثقافي ....

كما تم المنهج التحليلي الذي رايته مناسبا لهذا الموضوع بالموازاة على اعتماد المنهج الوصفي التاريخي وهذا بغرض تحليل العلاقة بين جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر.

مصادر الدراسة

اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع ومن أهم المصادر المؤنس في أخبار إفريقية وتونس لابن أبي دينار ، أفادنا في الفصل الأول وخاصة في تأسيس جامع الزيتونة لذلك كتاب التعليم الإسلامي وحركة الإصلاح في جامع الزيتونة لمؤلفه الطاهر حداد، أفادنا في الفصل الأول خاصة في نظام التعليم في الجامع بالإضافة إلى كتاب أليس الصبح بقريب لمؤلفه الطاهر بن عاشور الذي اعتمدنا عليه خاصة في النظام وأهم مؤسسات الجامع.
ومن الدوريات التي كانت تصدر عن جامع الزيتونة المجلة الزيتونية أفادتنا في الفصل الأول في معرفة تأسيس الجامع.

أما المراجع فأهم الكتب التي تناولت الموضوع : كتاب خير الدين شترة الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة بأجزائه الثلاثة والذي رصد فيه وضوح حركة الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة من هجرات ومساهمات مختلفة (فكرية صحفية، سياسية) ، أفادنا في الفصل الثاني أما كتب عبد الكريم بوصفصاف جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية وكتابه الفكر العربي الحديث والمعاصر ابن باديس ومحمد عبده نمو نجاء هذا الأخير هو دراسة مقارنة بين الشخصيتين، كما لا ننسى كتابات محمد على دبوز كتابه أعلام الإصلاح في الجزائر بأجزائه، أفادنا في الفصل الثاني في دراسة وترجمة أبرز الشخصيات وكتاب رابح تركي عمامرة الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر أفادنا في الفصل الثالث في دراسة حركة الإصلاح والتجديد في الجزائر .

أما أهم المجلات والدوريات التي مثلت في تلك الفترة رابطا قويا من بين روابط الحركة الإصلاحية ومن هذه الجرائد جريدة الشهاب التي كانت أسبوعية ثم تحولت إلى مجلة شهرية أفادتنا في الفصل الثالث في معرفة قضايا الإعلام بالإضافة إلى جريدة البصائر التي كارت لسان حال جمعية العلماء المسلمين لترويج بأفكارها.

صعوبات الدراسة:

-إن البحث في موضوع مادته تتعلق بالتاريخ المحلي يشكل عقبة أمام الباحث ومن بين الصعوبات التي واجهتني اذكر:

-قلة المادة العلمية التي تتحدث عن جهود الشيخ مبارك في منطقة الأغواط و إن وجدت فهي إشارات غير معمقة.

ومع ذلك لم تحرمني الصعوبات من لذة البحث والتي كانت سبب في تمسكي بالموضوع ودافعا أساسيا المواصلة البحث، ولا ادعي أن بحثي كاملا واللجنة المناقشة للموضوع تدعمني أكثر ونحمد الله عز وجل ونسأله السداد في التوفيق والعمل.

الفصل الاول

جامع الزيتونة

المبحث الأول: نبذة عن جامع الزيتونة

المبحث الثاني : التطور التاريخي الجامع الزيتونة

المبحث الثالث: التطور العلمي الجامع الزيتونة

المبحث الأول: نبذة عن جامع الزيتونة

أولا : تعريف جامع الزيتونة

يعتبر جامع الزيتونة بتونس من أهم وأقدم المعاهد التعليمية العربية في العصر القديم والحديث فهو الجامع الذي حمل لواء الثقافة القومية خلال فترات زمنية مالا يقل عن اثني عشر قرنا [1]والتي من خلالها حافظ على المقومات الحضارية لمنطقة المغرب العربي[2] وهو أعم وأفخر مؤسسة إسلامية تونسية[3].

وهذا من خلال توجهات الفاتحين في ذلك الزمان حيث كانوا أول عمل كان يقوم به أثناء فتحهم لإقليم جديد إسلامية هو العمل على بناء المسجد ليكون هذا الأخير أساسا لحكمهم ودينهم ويعتقد أن عبد الله بن الحبحاب[4] هو الذي أخط هذا الجامع لما كان واليا على افريقية[5] يؤيد هذه الفكرة ما ذهب إليه ابن الأثير في كتابه الكامل حيث يقول: إن عبد الله بن الحبحاب دخل افريقية في هذه السنة 116 هـ [6]لم يكن المسجد مكان للعيادة فقط بل كذلك لتعلم وهو المنبع الفياض الذي تصدر عنه كل حركة علمية وإصلاحية.

وإن كان يرى آخرون أن المسجد كان قد بني من قبل أي في عهد حسان بن نعمان على اعتبار السنة الأولى التي يقوم بها الفاتحيون في بناء المسجد سنة 79 هـ[7].

---

[1]حسين مؤنس المساجد، عالم المعرفة ، 1981 ص 107

[2]خير الدين شترة، إسهامات التالية الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900-1939م)، دار البصائر ، أدرار، 2009، ص 197.

[3] الطاهر عبد الله الحركة الوطنية التونسية (1830-1956م) منشورات دار المعارف للطباعة والنشر تونس ص 219

[4] . عبد الله الحيجاب : هو مولى بن سلول، كان رئيسا نبيلا، بارعا في الفصاحة والخطابة ، حافظ الاشعار، كان في باديء الأمر كاتبا ثم تولى مصر والفريقية والمغرب قدم إلى الفريقية سنة 116 هـ ، وهو الذي بنى المسجد الجامع وأدار الصناعة بتونس، أنظر: محمود شيت خطاب، قادة فتح المغرب العربي، ج 71 دار الفكرحم 1974م، ص 172

[5]عبد الحميد حسين حمودة تاريخ المغرب في العصر الإسلامي 15 الدار الثقافية للنشر 2002، ص 132.

[6]ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، نع دار الكتاب العربي، بيروت، 1965، ص 185.

[7]محمد السنوسي، مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، مجلد 85، ج 1 ص 35

ثانيا: تأسيس جامع الزيتونة:

إن جامع الزيتونة يحتل المرتبة الثانية في مجموع الجوامع التي رفعت بإفريقية لإعلاء كلمة الله بعد جامع عقبة بن نافع بالقيروان، إلا أن المؤرخين اختلفوا في تاريخ تأسيسه وفي الأمر بتشييده فبينما نسب الكثير منهم تأسيس جامع الزيتونة إلى عبيد الله بن الحبحاب، الذي سماء هشام بن عبد الملك الأموي واليا على إفريقية في سنة 110 هـ(728-729) وقبل سنة 116 هـ (734م)[1] في مقابل ذلك ذهب آخرون إلى انتساب إنشاء الجامع إلى حسان بن النعمان الغساني فاتح تونس وقرطاجنة في حدود سنة 79هـ (698-699م) والظاهر أن هذا الرأي هو الأرجح وذلك لأن حسان بن النعمان تم فتح تونس سنة 79 هـ وابن الحبحاب لم يقدم إليها إلا سنة 110 هـ على أقل تقدير إن لم يكن ذلك في سنة 116 م[2] ، في حين ذكر المراكشي أن عبيد الله الحبحاب قدم إفريقية في ربيع سنة 116 هـ وهو الذي بنى الجامع بتونس.[3]

وبصورة عامة يرجع المؤرخون أن من أمر ببناته هو حسان بن النعمان عام 79 هـ وقام عبيد الله بن الحبحاب بإتمام عمارته في 116 هـ الموافق لـ736م.[4]

ثالثا: أصل التسمية:

مثلما كان الاختلاف بين المؤرخين حول بناء المسجد الجامع فقد اختلف الرواة حول التسمية الخاصة به فذكر في التاريخ ان تسمية الزيتونة ليكون نور يضاء بها إفريقيا[5]، لقوله تعالى"

---

[1] ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار افريقية وتونس 1 مطبعة تونسية تونس 1986 ص 31.39.

[2]محمد العزيز ابن عاشور ، جامع الزيتونة المعلم ورجاله دار ستراس للنشر، تونس ، 1991 ص 10

[3]ابن عداري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تح: كولان بروفنسال، ج1 ، ط3، دار الثقافة، لبنان، 1989 ، ص 52

[4] على اللافي، مجلة الخير الإسلامي وزارة الشؤون الدينية، 1ع ، تونس سبتمبر 2012، ص 4

[5] وفاء الرياس، الطلبة الجزائريون الزيتونيين والحركة الإصلاحية الجزائرية (1900-1954م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية مجامعة محمد خيضر بسكرة 2013-2014 ، ص 3

الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دري يُوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي الله لنوره من يشاء ويَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [1].

في حين تذكر بعض الروايات الأخر في مجال التسمية على انتساب هذا المعهد الجليل للشجرة المباركة منذ الخليفة، فقد ذكر المؤرخون أن موقع الجامع كانت به زيتونة حول صومعة الجامع، كان يتعبد بها راهب نصراني عند نزول المسلمين الأولين بتونس[2]

يرجع الآخرون أن الجامع بني في موضع كان مشجرا بالزياتين قطعت كلها ولم تبق إلا زيتونة واحدة في وسط ساحة الجامع قسمي بها، منها أيضا أن المسلمين عند فتحهم القرطاجنة وجدوا زيتونة منفردة في موضع المسجد فقالوا هذه تونس وسمي المسجد بجامع الزيتونة[3] وتزعم رواية مسيحية أيضا أن الجامع شيد بالقرب من كنيسة قديمة كانت تضم رفات القديسة أوليف يعني الزيتونة فمنها جاءت تسمية الجامع الأعظم بجامع الزيتونة للقد سمي نسبة إلى القديسة زيتونة التي عاشت في زمن الوندال.[4]

[1] سورة النور الآية 35

[2] محمد بن الخوجة، صفحات من تاريخ تونس مع حمادي الساحلي والجيلاني بن الحاج يحي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان 1986 ، ص 284

[3] محمد العزيز ابن عاشور، المرجع السابق، ص 12 .

[4] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1999 ، ص 164.

المبحث الثاني : التطور التاريخي الجامع الزيتونة

من الجامع الأعظم بتطورات عديدة عبر مراحل تاريخية:

1- في العهد الأغلبي (184-296هـ /800-909م

لا نبالغ عندما نجزم بأن فترة الأغالية (القرن الثالث الهجري التاسع ميلادي) هي التي وضعت الأسس الأولى لفنون العمارة الإسلامية بالبلاد التونسية وقد كانت بمثابة همزة الوصل مع فنون البناء المحلية القديمة.

جامع الزيتونة هو واحد من بين المباني التاريخية التي خلفها الأغلبية وأعظمها على الإطلاق جامع عقبة بن نافع بالقيروان[1] ، حيث اعتنى الأغالبة بجامع الزيتونة اعتناء يضاهي اعتنائهم بجامع عاصمتهم القيروان من تضخيم الجامع وتوسيعه وتحسين هندسته وزخرفته ومرافقة بدرجة جعلت هذه الأعمال بمثابة إعادة تامة لبناية الأصلية ، من أسباب هذا الاعتناء هو سبب سياسي لنيل رضا أهل تونس من خلال الاهتمام بمسجد بلدهم[2]. قد عرف الجامع الأعظم في هذا العهد ازدهارا كبيرا وذلك لأن أمراء الدولة الأغلبية قد ساهموا بشكل كبير في عمران إفريقية خاصة المعالم الدينية حيث قال ابن أبي دينار : لعل البناء الضخم هو من بناء الأغالبة ويشهد ذلك ما هو مكتوب في القبة فوق المحراب إسم

أمير المؤمنين المستعين بالله العباسي».[3]

2/ في العهد الفاطمي (296-362هـ / 909-973م

إذا تحدثنا عن جامع الزيتونة في العهد الفاطمي فعلينا أن نتحدث عن حقيقة دور أمراء الدولة الصنهاجية الذين خلفهم على إفريقية المعز الفاطمي عند خروجه من المغرب إلى مصر

[1]: الدولاتي عبد العزيز، عشرة قرون من الفن المعماري التونسي، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1996 ح 4.

[2]: محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق ، ص 16.

[3]: اين آبي دينار، المرجع السابق ،ص 10.

في سنة (972هـ361م)، إذ لا تعرف للدولة العبيدية إسهاما في عمران جامع الزيتونة بصفة مباشرة وأهم إسهامات الولاة الصنهاجيين تتمثل أساسا في إنشاء القبة البديعة فوق البهو والرواق الموجود أمام واجهة بيت الصلاة .[1]

3/ في عهد أمراء بني خرسان (450-555هـ / 1058-1160م

بعد تقهقر الدولة الصنهاجية استقل بنو خرسان في الحكم، واتخذوا تونس عاصمة لهم، أولى أمراء بنو خرسان اهتماما كبيرا بالجامع وذلك من خلال عدة ترميمات منها ترميم بيت الصلاة تعويض عمودين بواجهة المحراب وتأجين من النمط الخرساني، وفتح أبواب كثيرة وجديدة، حتى أصبح عددها إثني عشر بابا بعدما كانت ستة أبواب .[2].

يرجع الفضل في إعطاء المدينة مظهر عاصمة وذلك من خلال التطورات الجديدة التي عرفتها هي أسرة بنوخرسان.[3]

علاوة على ذلك فقد اقتصر الخراسانيون في الزيتونة على إضافة بوابات جديدة منها باب سوق العطارين المؤرخ في 474هـ/1071م بواسطة نقيشة تحمل إسمي العريفين الذي أمرا على الإنجاز وهما عبد الغني بن المليلي وعوض بن القبيطي.[4]

4/ في العهد الحفصي (ق 7 هـ - ق 10 هـ ق 13 - ق 16م

تميز العهد الحفصي على العهود التي سبقته بارتقاء مدينة تونس إلى درجة عاصمة دولة رفيعة الشأن[5] وقد اعتنى الحفصيون بالجامع واهتموا بتأسيس المؤسسات العلمية والدينية ، وقد

---

[1]محمد العزيز بن عاشور، المرجع السابق، ص 24

[2]خير الدين شترة ، الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة (1900 - 1956م)، ج 1 نكتار البصائر الجزائر ، 2009 ص 965

[3]روبار بر تشفيك در احمادي الساحلي ، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر ، ج 1 1 دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988 ، ص 374

[4]عبد العزيز الدولاتي، المرجع السابق، ص 12

[5]محمد العزيز ابن عاشور ، المرجع السابق، ص 29

خصص السلطان أبو زكريا الحفصي[1] أسواقا للحرف على طول واجهة الجامع[2] وقد عرف الجامع في عهد بني الحفص اهتمام الأمراء وتمثلت الأشغال كذلك في الزيادة في مساحة الجامع بالإضافة إلى الصحن من الجانب الشرقي وذلك لإقامة الصلاة على الجنازة ولذلك سمي بصحن الجنائز[3] ومن جهة أخرى فإن الجامع في العهد الحفصي عرف نكسة كبرى عندما دخله الجيش الإسباني في صائفة 1573 م فيما يعرف بواقعة الجمعة واستولوا على مخطوطاته ونقلوا عدد منها إلى إسبانيا وإلى مكتبة البابا[4] .

5/ في العهد العثماني (981-1104هـ / 1574-1631م

انتشر التعليم في هذا العهد وذلك يعود لاهتمام العثمانيون بالتعليم في البلاد العربية واعتمدت حلقات المساجد التي تدرس علوم الدين واللغة وأشهرها جامع الزيتونة بتونس حيث حفظت هذه المساجد اللغة العربية من الانحطاط إلى مستوى أدنى[5] في دخول العثمانيون

لتونس أدخلوا المذهب الحنفي[6] ، حيث ظهرت نزعة معمارية مقتبسة من الشرق وبالتحديد الفن العثماني اعتنوا بتهيئة الجوامع المالكية وفي طليعتها جامع الزيتونة ، إذ قامت على إصلاحات وترميمات بعد حرمة الجامع من طرف الجيوش الإسبانية ، وجعلوا به شباك مصنوع من

---

[1]زكرياالحفصي : هو ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد من أبي حفص عمر مربع بتونس سنة سبع وعشرين وستمائة انظر : أبي عبد الله محمد ابن إبراهيم الزركشي ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تح: محمد منصور طة مكتبة عتيقة تونس 1966 ص 24

[1] أحمد الطويلي ، في الحضارة العربية التونسية، خط دار المعارف ، تونس د ،ت ، ص10-16.

[3]: رحماني عائلة، الحركة العلمية في الدولة الحفصية (981625 1227-1574م) ، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ العالم ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة 8 ماي 1945 قائمة 2016-2017 ، ص 36

[4]على اللاقي ، المرجع السابق من 4

[5]د عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب ملك المركز الثقافي العربي ميروت، 1996 ص 127

[6]خليل ابن الجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الإنحدار، تر: محمد الأرناؤوط طلا دار المدار الإسلامي لبنان 2002، ص 13.

الخشب المخروط.[1] كما اتخذ هذا الجامع بدوره الثقافي إلى جانب المدارس والجوامع الأخرى والمكتبات العامة في عهد الباي أحمد ونشط كمراكز للثقافة".[2]

6/ في العهد المرادي (1041-1111هـ/1671-1702م

استمرت في مدة البايات المراديين ظاهرة إنشاء الجوامع الحنفية في مدينة تونس فبنى حمودة باشا مئذنة جامع يوسف داي، أما فيما يخص الجامع الأعظم (جامع الزيتونة) هو ما قام به أبو محمد حمودة باشا المرادي من أشغال لترميم وتحسين الصومعة الحفصية في سنة (1063 هـ - 1652م) ، وزاد في ارتفاعها حتى بلغ 30 مترا وجعل في أعلاها أروقة ذات خمسة أقواس في كل واجهة تقي المؤذنين من الحر في فصل الصيف ومن البرد في فصل الشتاء[3] ، فتلاحقت أشغال الترميم والتحميل بنسق سريع بالإضافة إلى الأشغال التي قام بها تاج العارفين البكري بصحن الجنائز.[4]

من أهم انجازاتهم أيضا هو تحسين الرواق الشرقي الجامع الزيتونة وترميمه بعد الحفصيين[5].

بالإضافة إلى ذلك فقد اعتنى بايات الدولة المرادية بأماكن العلم وتصرفوا في شؤون الجامع من سنة (1304هـ - 1624م) إلى سنة (1577هـ - 1812م)[6]

7/ في العهد الحسيني (1317-1377هـ/1705-1957م

لقد قام بايات الدولة الحسينية بإحياء التعليم في جامع الزيتونة ، واقامة شعائر وتراتيل القرآن الكريم ورواية الحديث، واحداث الأوقاف لفائدة المدرسين والقراء بالإضافة إلى تعويض الصومعة القديمة التي تداعت لسقوط سنة 1884م ، بالإضافة إلى إصلاح وتنظيم التعليم في

---

[1] محمد العزيز ابن عاشور ، المرجع السابق ، ص 34

[2] اسماعيل أحمد باعي، العالم العربي في الحديث والمعاصر ، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997 ، ص 140.

[3] محمد العزيز ابن عاشور ، المرجع السابق ، ص 38.

[4] عبد العزيز الدولاتي ، المرجع السابق ، ص 17

[5] روبار تشفيك، المرجع السابق ، ص 382

[6] محمد الهادي شريف، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس تح : محمد الشاوش ومحمد عجينة بطلة سراس النشر تونس 1993 ، ص 79

الجامع، وبإحداث ثلاثة وظائف وهي : مستشار المعارف بالوزارة الكبرى ونائبين له وبالتالي أصبح التعليم الزيتوني تحت رقابة الباي نفسه.[1]

حيث شهدت فترة حكم محمود باي باختلاف العمران، كما تعددت فيها المدارس والجوامع وغير ذلك من الأوجه العمرانية وتم تأسيس المكتبة الأحمدية.[2]

كما أن شكل هذه الصومعة المرتفعة إلى 43 اقتبسه مهندساها الأمينان النيقروا والطاهر بن صابر من النمط المغربي الأندلسي الذي ظهر في تونس عند بناء جامع القصبة في مبادىء الدولة الحفصية وقد نجح سعيها إذ جاءت هذه الصومعة على غاية من الأناقة والأصالة [3]" .

يعتبر هذا الجامع من أحسن الجوامع وأتقنها وأكثرها إشراقا حيث نصبت فيه أعمدة من خشب على قدر ارتفاع الجدر وشيئت إليه حبال متينة في حلق من حديد مثبة فيها وفي السقوف شداً محكما ونشرت عليها شقق الكتان المطبقة حتى تضلل جميع الفضاء.[4]

[1]خير الدين شترة الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة ، ج 1 ،المرجع السابق ،ص 676.

[2]شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في الحديث ليبيا تونس الجزائر المغرب) ، مكتبة الأنجر المصرية القاهرة، 1977 ، ص 111.

[3]محمد العزيز ابن عاشور ، المرجع السابق، ص 40.

[4] محمد العيظري البلتي، الرحلة المغربية سنة 220هـ، ط، المنشورات للبحوث والدراسات المغرب ، 2007 م، ص 69-70 .

المبحث الثالث: التطور العلمي الجامع الزيتونة

1/ نظام التعليم في جامع الزيتونة (1842-1933م)

لقد اشتهر جامع الزيتونة منذ القديم بدوره في بث العلوم الإسلامية لكنه لم يستقل بذلك.قبل دولة أحمد باشا باي الحسيني فقد كانت الدروس تلقى بالمساجد والجوامع وفي الزوايا وحتى بيوت العلماء.

إلا أن جامع الزيتونة هو المكان الوحيد والأهم وقد اشتهر بمن درس به من أعلام هذا القطر في أزمنة متلاحقة، لما قامت الدولة الحسينية رجع جامع الزيتونة شيء من مجده بصفته مركز التعليم وازدادت العلوم فيه إلى أن أصبح عدد المدرسين نحو الثلاثين بعد أن كان لا يتجاوز الثمانية .[1]

أما فيما يخص ترتيب التدريس في جامع الزيتونة، فقد رتب المشير الأول أحمد باشا يوم 1 ديسمبر من عام 1842م[2] من خلال منشور نص على واجب من يتولى أمور الناس في السعي إلى العلم والإكثار منه وأثنى كذلك المشير بعنايته والسعي إلى الترتيب الدروس بجامع الزيتونة وهو انتخاب خمسة عشر عالما من المالكية شلهم من الحنفية، وجعل لكل واحد منهم ريالين كل يوم على أن يقرىء بهذا الجامع الأعظم درسين في أي وقت تيسر له من النهار ، ومن تخلف بغير عذر شرعي لا يستحق أيام تخلفه إلا يوم الخميس ويوم الجمعة وشهر رمضان وأيام العيدين.[3]

1 النظام: كانت العلوم التي تدرس بجامع الزيتونة كعامة الجوامع الكبرى في بلاد الإسلام تنقسم إلى علوم شرعية أهم مصادرها الكتاب الكريم والسنة النبوية وعلوم عقلية مصدرها العقل فالأولى كالفقه وأصول الفقه والثانية كالمنطق ، الكلام الرياضيات والفلك ويتبع هذا القسم

---

[1] محمد العزيز ابن عاشور، المرجع السابق ، ص 93-94

[2] أحمد بن أبي الضياف، اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تح لجنة وزارة الشؤون الثقافية، جلال خطة الدار العربية الكتاب د. ت. ص 65.

[3] الطاهر الحداد، التعليم الإسلامي وحركة الإصلاحي جامع الزيتونة مع محمد أنور يوستينة، ب ط، الدار التونسية النشر ، تونس ، 1981 م 50

علوم اللغة كالنحو والصرف الإنشاء وكانت هذه العلوم تجري وفق ثلاث درجات : ابتدائي ثانوي التعليم العالي[1] .

أما حالة التعليم الموجودة بالجامع تجري على طريقة شبيهة بالإختيارية ، حيث إن المدرس يختار ما يشاء هو أن يطلب منه من الفنون الكتب الأوقاف المراتب، وعدد الدروس والتلميذ يختار المدرس ومقدار الفنون الدروس على حسب ما يحتاجه وما أهله له الاختيار العمومي فهو من أجل هذا أقل اختيارا [2].

الإيجاد الدروس بالجامع طرائق أربع

الأولى: أكثرها وقوى طلب التلاميذ من الشيخ إقراء كتاب بعيونه

الثانية: طريقة الإنتقال التدريجي لمن يختم كتابا ويشرع فيما هو أرقى منه، ويستمر في رسته غالبا من حضر دراسة الكتاب السابق .

الثالثة : إختيار الشيخ كتاب يعرضه على التلاميذة

الرابعة: اقتراح المشائخ النظار زيادة الدروس ممنيعينوهم المصلحة.[3]

2-1 مراحل التعليم

من المعروف أن التعليم بالجامع الأعظم كان يتم وفق ثلاث درجات : ابتدائية وسطى ، عالية فالابتدائية تمكن مزاولها من الحصول على شهادة والوسطى تمكنه من الحصول على شهادة التحصيل[4] أما العالية فتمكن مزاولها من الحصول على الشهادة العالمية.[5]

يبلغ أعداد الدروس بالدرجة الابتدائية 400 درس وفي الدرجة الثانية 80 درسا وفي الدرجة الثالثة أي التعليم العالي 50 درسا، كانت شؤون التعليم بالجامع الأعظم منوطا بعهدة النظارة العلمية وهي هيئة تتركب من شيخ الإسلام إلى غاية عهد أحمد باشا ثم وقعت تنقيحات في

---

[1] محمد بن خوجة، المرجع السابق ، ص 292.

[2] محمد الطاهر بن عاشور، أليس الصبح بقريب ، دار سحنون، تونس، 2006 ، ص 132

[3] محمد الطاهر بن عاشور بالمرجع نفسه، ص 133

[4] شهادة التحصيل : هي شهادة زيتونية بدأ العمل بها سنة 1874 وكان يطلق عليها سابقا شهادة التطويع يتحصل عليها الطالب بعد دراسة سبعة سنوات.

[5] خير الدين شترة، إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية (1900-1939) ،المرجع السابق، ص 197.

عهد محمد الصادق باشا على يد خير الدين باشا الذي أدخل إصلاحات على جميع المناهج التعليمية في الزيتونة الأمر الذي أعطى دفعا جديدا للتعليم الذي يبلغ أعداد الدروس بالدرجة الابتدائية 400 درس وفي الدرجة الثانية 80 درسا وفي الدرجة الثالثة أي التعليم العالي 50 درسا، كانت شؤون التعليم بالجامع الأعظم منوطا بعهدة النظارة العلمية وهي هيئة تتركب من شيخ الإسلام إلى غاية عهد أحمد باشا ثم وقعت تنقيحات في عهد محمد الصادق باشا على يد خير الدين باشا الذي أدخل إصلاحات على جميع المناهج التعليمية في الزيتونة الأمر الذي أعطى دفعا جديدا للتعليم الديني والقانوني والأدبي بالجامع الأعظم، رغم المعارضة الشديدة التي واجهها من قبل مشايخ الزيتونة الذين اتهموه بالخروج عن المسار القويم.[1]

2 أهم مؤسسات الجامع:

لقد كان لمختلف الجوامع مكتبات خاصة يستفيد منها الطلاب للعلم والمعرفة من المألوف أن كل جامع كبير به خزانة كتب تحتوي على كتب عديدة ومتنوعة وخاصة فيها يتعلق بالعلوم الدينية حيث اتسعت وزادت كتب المكتبات وذلك بدعم من العلماء والأثرياء وبذلك أصبحت مكتبات الجوامع عامرة بالكتب المختلفة[2] من أهم مكتبات ومعالم الزيتونة تذكر مايلي:

2-1 - المكتبة الأحمدية

أسسها أحمد باي الأول سنة 1840م وقام بتجهيزها ب 2527 مجلد وكان أحمد باي صاحب الفضل الكبير في إثراء مخطوطات جامع الزيتونة فقد نقل إليها رصيد مسجد الباشا وأضاف إليها كتب الوزير حسين خوجة التي باعها عليه دائنوه، كما أضاف إليها ما اقتنائه وأهمها مجموعة مكتبة الشيخ ابراهيم الرياحي بعد وفاته سنة 1849م ، وقد عرفت المكتبة الأحمدية مزيدا من الإثراء والتوسع في عهد الأمير محمد الصادق باشا فقد رفع عدد مخطوطاتها إلى 6975 مجلد بإلحاق كتب الوزير مصطفى خزندار[3] .

فهرس مخطوطات المكتبة الاحمدية (خزانة الجامع)

---

[1] محمد فلاح العلوي ، الطباعة ومسايرة التقليد الزيتون الدين و المجتمع، منشورات المعهد الأعلى التاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2007 ،ص 63

[2] احمد أمين ، ظهر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة، 1962 ، ص 222

[3] محمد أبو الأجفان، وضعية المخطوطات العربية بتونس، در تونس، ص 96.

هذا الجزء من المكتبة يحتوي على:

الأدب، اللغة البيان العروض ، النحو الصرف التاريخ التراجم ، المناقب، المنطق ، الكلام ، أداب البحث الوعظ والتصوف ، أصول الفقه الفرائض الوثائق ، الهندسة الطب المصاحف القراءات التفسير .السيرة النبوية .[1]

2-2 - المكتبة العبدلية

تعرف إصطلاحا بالمكتبة الصادقية، يعود تأسيسها إلى أوائل المائة العاشرة على يد أبي عبد الله بن الحسن وقد كانت مستهدفة في مخطوطاتها النفسية عندما أصيب تونس بنكية الإستعمار الإسباني محيث أن هذه المكتبة لم تعرف تجديد شامخ عزها إلا في عهد الأمير محمد صادق باي (1276هـ - 1299هـ) حيث سعى لديه وزيرهة المصلح إلى إحيائها ، حيث أمدها الوزير خير الدين بكتب مكتبته الخاصة المستقلة على كثير من كتب العائلة البيرمية وخطوطهم واستصدر في تنظيم المكتبة الأمر المؤرخ في 12 ربيع الآخر 1292 هالذي سماها من يومئذ بالمكتبة الصادقية ثم وقف عليها الأمير علي باشا الثالث (1299هـ - 1320هـ) نحو ثلاثمائة مجلد سنة 1300هـ ثم ابنه محمد الهادي وبذلك بلغ مجموع كتبها 4727 مجلد .[2]

2-3- المدرسة الخلدونية

إن أقدم عمل عرفته الزيتونة هو إنشاء معهد الخلدونية ليكون تابعا لها ومتعاونا معها على تحقيق نهضة ثقافية أحسن بالبلاد فكان للخلدونية معهد ثانوي مستقل يدرس فيه طلبة الزيتونة العلوم العصرية من طبيعة وكيمياء ورياضيات وتاريخ وجغرافيا بالإحراز على شهادة البكالوريا بالعربية يهيئ الطلبة للالتحاق بالجامعات العربية في المشرق[3] ، قد تأسست هذه المدرسة في 18 رجب 1314 هـ، 1896م[4] بقرار من جناب الوزير الأكبر القاض بتأسيسها

[1]عبد الحفيظ منصور، فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس ، 1 دار الفتح، بيروت، 1969 ، ص 9.

[2]محمد أبو الأجفان، المرجع السابق، ص 99.

[3]الطاهر عبد الله ، المرجع السابق، ص 222.

[4]محد على أذرشب، الزيتونيين و الشعر التونسي الحديث ثقافتنا، مجلة الدراسات والبحوث، المجلد 5 ، العدد السابع عشر 1439/ 2007 ، ص 194

ومهمتها السعي بطريقة عملية للوسائل الموصلة لتوسيع نطاق المعارف، وبترتيب دروس ومحاضرات باللغة العربية.[1] في آخر سنة 1314 هـ انعقدت لجنة النظر في تنقيح ترتيب التعليم بالجامع الأعظم قد قررت هذه اللجنة النظر في:

النظر في جعل برنامج للتدريس العصري بالخلدونية في أي فريق من تلامذة الجامع الأعظم يحسن بهم تلقي المعارف الخلدونية تعيين ساعات للقراءة بها لا تزاحم ساعات دروس التعليم.

4-2- المدرسة الصادقية

فتحت أبوابها في 27 فيفري 1875م وعين العربي زروق على رأسها وبلغ عدد تلاميذها عند الافتتاح 167 تلميذا واستطاعت هذه المدرسة أن تجلب اهتمام التونسيين وتمنحهم ثقافة عربية إسلامية وتعليمها عصريا[2] تركزت الأصالة في أعماقها بتدريس مختلف اللغات الأجنبية كالتركية والفرنسية والإيطالية[3] ، على أساس أن يبعث الطلبة إلى فرنسا لاستكمال دراستهم العالية وهكذا أخذت المدرسة الصادقية تمد المجتمع التونسي بأفواج من الشبان المثقفين بالفرنسية والملمين في نفس الوقت باللغة العربية وشيء من آدابها وعلوم الدين [4]ينقسم التعليم في هذه المدرسة على ثلاثة مراحل:

- المرحلة الإبتدائية : تدوم أربعة سنوات ويحفظ خلالها التلميذ نصيب من القرآن الكريم والحديث الشريف والقراءة والكتابة واللغة

-المرحلة الثانوية : تدوم خمس سنوات وتدرس فيها اللغة العربية والعلوم الشرعية المطابقة لبرنامج جامع الزيتونة.

-المرحلة العليا : تدوم سبعة سنوات وتدرس فيها اللغة الأجنبية العلوم الرياضية والهندسة

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق ص 90.

[2] عبد القادر جيري، الطلبة الجزائريون الزيتونيون واسهامهم في الحركة الوطنية (1900-1954) ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ معاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة العربي تبسي ، نبسة 2015-2016 ص 48

[3] محمد على الرشب، المرجع السابق ، "ص 194.

[4] محمد عابد الجابري، التعليم في المغرب العربيدراسة تحليلية نقدية لسياسة التعليم في المغرب وتونس و الجزائر ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء، 1989 ، ص 71.

والعلوم الطبيعية .[1]

3 المجلة الزيتونية

3- 1تعريف المجلة الزيتونية

هي مجلة علمية أدبية تهدف إلى مقاومة البدع والخرافات والتعصب الديني والمذهبي شعارها الإصلاح الديني أصدرتها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة المعمور.

3-2- أهم المشرفين على المجلة

- صاحب المجلة : محمد الشاذلي بن القاضي

-رئيس تحريرها : محمد المختار بن محمود

-مديرها الطاهر القصار مدرس بجامع الزيتونة

-أمين المال : محمد الهادي ابن القاضي.[2]

3-3 إرهاصاتها الفكرية

شملت المجلة جميع المواضيع التي كانت تدرس في جامع الزيتونة وهي عبارة على أبواب كل باب يحتوي على عنوان من المواضيع التالية القرآن الكريم الحديث الشريف التشريع الإسلامي ، التاريخ الأدب الأخلاق ، الصحة ، الحركة العلمية والأدبية في تونس وفي المشرق الإرشاد والوعظ .[3]

4 - تراجم لبعض العلماء الذين تداولوا على إمامة الجامع الأعظم

يوجد الكثير من الأئمة الذين درسوا في جامع الزيتونة نذكر منهم ما يلي:

4-1 الشيخ محمد البخاري

[1]عبد القادر الجبيري، المرجع السابق ، ص 49.

[2]محمد المختار بن المحمود، مقدمة المجلة الزيتونية، هيئة مدرسي من جامع الزيتونة المعمور ، 10.57 سبتمبر 1936 ص 3-5 أنظر الملحق رقم 4، ص 66

[3]محمد المختار بن المحمود ، المرجع نفسه، ص 61

هو أبو عبد الله محمد بن عثمان بن محمد بن نجار ولد عام 1255 متلقى تعليمه في جامع الزيتونة عام 1270 م ثم درس بالجامع عام 1282 محتولى منصب الإفتاء ومن مجلدات وكتاب بغية المشتاق في مسائل أهم مؤلفاته مجموع الفتاوي في ثمانية الاستحقاق[1]

4-2 الشيخ صالح الكواش

ولد بتونس سنة 1137هـ عمل في التدريس بجامع الزيتونة فكان يقرىء شرح الزرقاوي على المختصر وتخرج على يده علماء منهم : العلامة سيدي إبراهيم وتوفي صالح الكواش مساء يوم الاثنين 17 شوال سنة 1218هـ .[2]

4-3- أبو عبد الله محمد بن عرفة:

ولد سنة ستة عشرة وسبعمائة وهو أحد أئمة جامع الزيتونة وصاحبته عناية العلم والتوفيق حتى إستقل بمنبر الجامع وبرع في الأصول والفقه وتوفي سنة ثلاث وثمانمائة.[3]

4-4 محمد الخضر حسين

ولد بمدينة نقطة بتونس سنة 1876م حفظ القرآن الكريم في صغره والتحق بجامع الزيتونة سنة 1889م وفي سنة 1903م نال شهادة العالمية وتولى التدريس في الزيتونة وعين مدرسا في المدرسة الصادقية سنة 1907 م .[4]

4-5 محمد النيفر:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم النيفر ، ولد سنة 1222 هـ ، انتصب لتدريس في الثامنة عشر درس بجامع الزيتونة كتب عالية مثل تفسير القاضي البيضاوي ، وتخرج

---

[1] نجاة الظاهر فرقال، المرجع السابق ، ص360

[2] عبد الباسط الغابري ، المؤسسة الزيتونية والإصلاح مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث 2015 ص 8 أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي ، الحلل السندسية في الأخبار التونسية ،مطبعة الدولة التونسية ، تونس 1987 ، ص 323

[3] أبو عبد الله محمد بن محمد الأندلسي ، الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، مطبعة الدولة التونسية، تونس 1987 ص 323

[4] بلغيث أمينة ، علاقة جمعية العلماء المسلمين بأقطاب الفكر الاصلاحي في تونس والمغرب الأقصى (1937-1954) ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة لمد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة العربي التبسي، تيسة، 2016-2017 ، ص 68

على يده أبي العباس أحمد بن الخوجة الجماعة الطاهر النيفر من أهم مؤلفاته رسالة في البسملة[1]. توفي محمد النيفر في المدينة المنورة.[2]

6-4 محمد الطاهر بن عاشور

هو الشيخ الإمام العلامة محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور[3]، بشرت العائلة العاشورية بولادة محمد الطاهر بالمرسى وهي من الضواحي الشمالية للعاصمة التونسية، ولد سنة 1879م بقصر جده الصدر الأعظم محمد العزيز بوعتور[4] ..

في سنة 1310 هـ التحق بجامع الزيتونة لطلب العلم وكانت المواد التي تدرس بالمعهد الديني متنوعة[5] ، في سنة (1317 هـ - 1899م) تحصل على شهادة التطويع ثم توليه مشيخة جامع الزيتونة سنة (1351 هـ - 1932م)[6]، خلف محمد الطاهر بن عاشور العديد من المؤلفات في مختلف نواحي العلم والمعرفة منها : تفسير التحرير والتنوير، أصول التقدم في الإسلام، توفي يوم الأحد (13 رجب 1393هـ - 12 أغسطس (1973م) [7].

---

[1]محمد التيفر ، عنوانا الأربيع ما نشأ بالبلاد التونسية من عالمأديب، تح على النيفر ، ما دار الغرب الإسلامي 1996، ص 339

[2]باديس بن على علماء الزيتونة والعمل السياسي خط دس ص 3

[3]نور الدين كوني، التعليم عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في كتابه أليس بالصيحي قريب: التعليم العربي الإسلامي مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات ،جامعة العقيد أحمد دراية. ادرار 2016-2017 ص5

[4]فوزية بن بوزيان، محمد الطاهر بن عاشور ودوره الإصلاحي في تونس التعليم (1879-1973م)، مذكرة ماستر تخصص تاريخ العربي المعاصر بجامعة خيضر يسكرة 2018 ، ص 16

[5]ناجي فرج الكوري، ملامح الإصلاح التربوي في تفسير ابن عاشور سجلة أصول الدين ، ص 62.

[6]محمد بن سعد بن عبد الله القرني ، الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير كلية الدعوة وأصول الدين مجامعة أم القرى ص 31

[7]الصادق الزمرلي، أعلام التونسيين، ط1 دار الغرب الإسلامي ميروت، 1986، ص 367

الفصل الثاني

الحركة الإصلاحية في الجزائر

المبحث الأول: تاريخ الحركة الإصلاحية

المبحث الثاني ا: رواد الاصلاح في الجزائر :

المبحث الثالث: جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر

تُعدّ الحركة الإصلاحية في الجزائر مشروعًا حضاريًا شاملاً، جاء استجابةً لتحديات مرحلة حرجة من تاريخ الأمة، تميزت بظروف قاهرة فرضها الاستعمار الفرنسي، الذي سعى بكل وسائله إلى طمس معالم الحضارة العربية الإسلامية، وطمس الهوية الوطنية للشعب الجزائري. فقد كان المشروع الاستعماري يستهدف القضاء على أسس الشخصية الوطنية، من خلال فرض الثقافة الفرنسية وإقصاء اللغة العربية، ومحاربة الدين الإسلامي ومؤسساته.

ولم يكن ظهور الحركة الإصلاحية حدثًا عرضيًا أو وليد صدفة، بل جاء نتيجة لتراكمات تاريخية وجملة من العوامل الداخلية والخارجية التي ساهمت في نشأتها وتشكّل رؤيتها. فقد لعبت هذه العوامل دورًا فاعلًا في إذكاء الوعي بضرورة الإصلاح، وفي الدفع نحو تبني مشروع ينهض بالأمة من حالة التدهور، ويعيد لها مقوماتها الثقافية والدينية والحضارية.

وبمرور الوقت، تطورت الحركة الإصلاحية لتغدو مشروعًا وطنيًا متكاملاً، يهدف إلى بعث الروح في الأمة الجزائرية، وإحياء مقوماتها الأصيلة، في مواجهة المشروع الثقافي الفرنسي الذي سعى إلى تغريب المجتمع ومسخ هويته. فكان الإصلاح بذلك دعامة أساسية للمقاومة الثقافية، وسلاحًا سلميًا في معركة الحفاظ على الذات والهوية، تمهيدًا لاستعادة السيادة الوطنية.

المبحث الأول: تاريخ الحركة الإصلاحية

أولا: مفهوم الحركة الإصلاحية

الحركة الإصلاحية هي حالة الوعي والنهضة التي حاولت شخصيات جزائرية بعثها في المجتمع وهي ذات تكوين ديني وثقافة عربية إسلامية وذات بعد وطني متفاعل مع محيطه المغاربي، وكان دافعها الأول حالة الجهل والأمية وواقع الاستعمار، فأرادت اخراج المجتمع من هذه الدائرة.[1] في غالبا ما تنطلق من الإحساس بواجب الإصلاح من منظور شرعي على غرار معظم الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي.

الحركة الاصلاحية لم تكن حركة بفضل حركيتها فقط، بل كانت ذات طابع اجتماعي، بوصفها تشكلية مبنية بناء محكما، وقائمة على فريق من الرجال المختارين، وأصبحت الحركة المنبثقة عن العمل الدعوي المعزول لابن باديس، في ظرف 10 سنوات فقط حزبا دينيا ذا مشروع اجتماعي سياسي، حيث وضعت برنامج عمل واضح ونظمت جهاز دعاية فعالا، وهكذا فرضت نفسها على البلاد برمتها والادارة الفرنسية [2]

فهي تمثل حركة ديناميكية فاتحة امتد جذورها وسندها السوسيولوجي ليشمل شمل جميع ربوع الجزائر بكل اطيافه وترسخ في مختلف الشرائح الاجتماعية المختلفة دون تمييز يذكر أو تفرقة بين الناس.

كذلك يطلق عليها مبدأ تعتنقه جماعة وتناسق لنصرته ونشره والدعاية له والعمل على عقيدته، وشكل له نظام وخطة مرسومة وهدف مقصود، وكثيرا ما تعرف ما يعرف بأنها نشاط ديني ثقافي والتقويمي بهذا الاصلاح، وهذا ما أعرب عنه دعوات حركات اسلامية وانبثقت من

[1] حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية (1990-1954)، دار الهدى، الجزائر، 2015، ص 22.

[2] على مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925-1940 – ترجمة محمد بحياتين، ط2 ، دار الحكمة، 2007، ص 33

داخل العالم الإسلامي في العصور الحديثة، وحددت أهدافها ضمن محاولات تجديد واحياء الحضارة الإسلامية التي تواجه التحديات الأوروبية[1].

يمكن القول أن الحركة الإصلاحية حركة شاملة كرد فعل عنيف لاصلاح الأوضاع الفاسدة التي سادت العالم الإسلامي ووصلته إلى حد الجمود والتحنيط للفكر الإسلامي أمام نهضة الغرب.

وقد تمثل رد فعل بادئ ذي بدء في دعوات مختلفة كانت تدعو إلى ايقاظ الإنسان حتى يعنى ذاته ويشعر بنفسه ويرجع إلى أصوله الشريعة الإسلامية[2].

الحركة الإصلاحية هي تعبير عن الحاجات الأساسية للمجتمع، وهي تعد بمثابة مشروع مجتمعي يهدف إلى إحياء الحضارة والجزائر كغيرها من بعض الشعوب العربية الإسلامية عرفت حركة اصلاحية اجتماعية دينية كتطور اجتماعي تاريخي من مرحلة الوعي والنهوض الفكري والثقافي[3]

ثانيا :تطور الحركة الإصلاحية في الجزائر

بحكم وجود الاستعمار الفرنسي الغاشم في معظم البلاد العربية وضغطه على الواقع المعيشي بكل الطرق من اجل التأثير على تنشئة المجتمع وعاداته وتقاليده، كل هذا بما جلبه إلى البلدان المستعمرة من تدمير وتعنيف وقضاء على تماسك المجتمع وهويته، اذ خلف واقعا جديدا لم يكن بها عهد جديد لهذه البلاد أو تلك فقد برزت دعوات وأفكار التي أطلقها كل من

[1] ديلمي أمنة، وقاف المقدودة، دور الاتجاه الإصلاحي في تنشيط الحياة السياسية (1900-1954)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر، جامعة المسيلة، 2020، ص 14.

[2] يسلي مقران ، الحركة الدينية والإصلاحية في منطقة القبائل (1900-1954)، ط2، الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، الجزائر، 2012، ص 162.

[3] دهماني سهيلة، الصحافة الإصلاحية الجمعية العلماء المسلمين الجزائريين نضال أمة في وجه المستعمر الفرنسي. المجلد 6 ، مجلة روافد الدراسات، الجزائر، 2022، ص 77.

الشيخ جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد بن عبده ثم انتشرت تلك الأفكار في جميع أنحاء العالم الإسلامي فهذا يرجع أبرزها إلى العلماء سبق ذكرهم .[1]

فلقد كانت بوادرها الأولى منذ نهاية القرن التاسع عشر على قلتها، ولكنها أخذت تتبلور بشكل واضح في مطلع القرن العشرين، ففي البداية كانت محاولات في صورة فردية حيث تتم على أيدي شخصيات لها تكوين ديني ولكنه ممزوج بروح الوعي السياسي ومتأثر بصدى النهضة الإصلاحية في المشرق العربي، وترغب في التميز عن التدين التقليدي الذي مثله في الغالب الطرق الدينية والزوايا وحركات التصوف. [2]

ومن جهة أخرى أرادت أن تبرز أن الإسلام الحقيقي لا تمثله المدارس الثلاث التي أنشأتها فرنسا في الجزائر، تلمسان، قسنطينة لتخريج القضاة والمفتين، فقد كانت هذه المدارس تقدم ما تريده فرنسا دون النظر الى اصالة المجتمع وثقافته وهويته، فلم تكن تلبي حاجات المجتمع المطلوبة، هذه الظروف حتمت على الاصلاحين القيام بدورهم المتمثل في تصحيح المفاهيم الخاطئة ومحاولة اعطاء القراءة الصحيحة للنص الشرعي. [3]

الحركة الإصلاحية في الجزائر كانت لها جذور وروافد من الشرق العربي الإسلامي ولعل أبرزها وأعمقها هي الحركة التي اضطح بها بعض المصلحين المفكرين أمثال الشيخ محمد عبد الوهاب والشيخ محمد رشيد رضا

وهذا انما هو دليل على الوحدة الفكرية والثقافية واللغوية التي تأصلت جذورها وبقيت حية مدى الدهر، بالرغم من عوادي الزمن وفجائع التاريخ، ومحاولات الفصل والمحو، وافتعال الظروف، ومما يدل على هذا الامتداد والاستمرارية، الاتصال الجزائري المشرفي. [4]

---

[1] طاهر الطناحي، مذكرات الامام محمد عبدة دار الهلال، دس، ص 6 .

[2] ديلمي أمنة، وقاف المقدودة، المرجع السابق، ص 16.

[3] حميدي أبو بكر، مرجع سابق، ص 22

[4] جودي فطيمة، النشاط الإصلاحي في الجزائر 1900-1939 مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر)، جامعة أدرار 2020، ص 11.

أخذت الحركة الإصلاحية في الجزائر صدى كبير من خلال التوسع، وفي ذات السياق كان دعم الحركات الإصلاحية في المشرق بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من خلال التنقل دراسة وطلب العلم والحج وخاصة عند زيارة محمد عبدة للجزائر سنة 1903 والذي أظهر عبد الحليم بن سماية إعجابه به أو نزعة محمد السعيد الزواوي الاصلاحية وغيرهم ممن تعاقب على هذا المنهج في الاصلاح أمثال الأمير خالد ابن باديس والابراهيمي.[1]

وفي الواقع كان أوجه الشبة بين الكثير من الشخصيات التي اهتمت بالإصلاح حيث ان الكثير ما يجمع هذه الشخصيات والحركات هو القراءة السليمة لفهم النص الشرعي للتحرر من الجمود والتقليد والخرافة التي فرضتها ثقافة المجتمع بالجهل الغالب أو ثقافة فرنسية مصطنعة ومفروضة على المجتمع الجزائري، فكان التوجه في الغالب الى توحيد العقل المسلم والتفاعل مع قضايا الجزائر والأمة الإسلامية حتى وإن أعلنت في كثير من مواثيقها أنها غير معنية بالسياسة لكنها كانت تمارسها على أرض الواقع. [2]

حيث الملاحظ التوسع الكبير في الأفكار الإصلاحية بعد أن صدع بها الشيخ ابن باديس سنة 1925، وخاصة فيما قدمه في جريدته المتقدم الشهاب حيث سانده في ذلك رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقد كان ذلك بعد عودة أكثرهم من بلاد المشرق أو تونس مثل الابراهيمي والطيب العقبي ومبارك الميلي ومنهم من رجال الاصلاح والذين ناصروا ابن باديس فكتبوا في جريدته وألقوا الخطب، ونظموا التجمعات وحظروا اللقاءات ومن هذا التاريخ ظهر ما يسمى بالحركة الإصلاحية في الجزائر وانتشرت في شتى مناطق البلاد.

عملت الحركة الاصلاحية في الجزائر ممثلة في هيئة جمعية العلماء المسلمين بالخصوص على محاربة الجهل والتخلف من خلال العمل على احياء العقيدة الإسلامية

[1] على مراد، مرجع سابق، ص ص 39 40

[2] حميدي أبو بكر، مرجع سابق، ص 24

الصحيحة والسلوكات والأخلاق الإسلامية الخالصة من كل شوائب ومحاربة البدع والخرافات التي لحقت بالدين والعمل على إحياء السنة النبوية وبعث نهضة أدبية فكرية. [1]

حيث كانت اللبنة الأولى في أنهم التحموا وسط الشعب وتغلغلوا وسط المجتمع الجزائري، كانوا واقفين بتعاملهم مع كل القضايا التي حاولوا معالجتها، يقول الدكتور عبد الله الركبي أن حركة الاصلاح في الجزائر امتزجت بالجماهير من خلال هذا التنظيم، بحيث كونت لها مناضلين من وسط الشعب جميعا وهذا ما ضمن لها الاستقرار وحقق لها النجاح. [2]

لعبت الحركة الاصلاحية دورا هاما في الجزائر في بعث الروح الوطنية والحفاظ على عناصر الهوية الوطنية وأحدثت جيلا بحق من النخبة المثقفة. [3]

في ذات السياق على غرار أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كانت هناط بعض الشخصيات البارزة التي أثرت على الفكر الاصلاحي في الجزائر أيضا على غرار الأستاذ عبد الرحمان الكواكبي بكتابيه أم القرى، وطبائع الاستبداد، كما هو للحال الى الشيخ طنطاوي جوهري بمؤلفاته القيمة ولاسيما كتابه نهضة الأمة وحياتها، تم جاء الدور على الأمير شكيب أرسلان بمقالاته الاصلاحية في الصحف، وغيرهم من الاصلاحين الآخرين [4]

حيث ان الحركة الاصلاحية في الجزائر كان تركيزها التام على الجانب الديني في ثورتها الفكرية ومهمتها الاصلاحية والأدبية إلى أبعد الحدود وهذا ليس جديد على الحركات

---

[1] محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1939)، ترجمة أحمد بن البار، الجزء الأول، الطبعة 1، دار الأمة، 2008، الجزائر، ص 312.

[2] كمال عمالي، الفكر الاصلاحي في الجزائر، الشيخ الطيب العقبي بيك الأصالة والتجديد، (دط) شركة مزوار للطباعة والنشر، 2005، ص 32

[3] على مراد، مرجع سابق، ص 163

[4] ديلمي أمنة، وقاف المقدودة، المرجع السابق، ص 16.

الاصلاحية عامة ولهذا السبب ارتبطت الثورات في تاريخ الإسلام ببعث روح الدين في حياة الناس لأنها المحرك الحقيقي بوجودهم.[1]

قد ساهم كل من كتلة المحافظين وجماعة النخبة في انجاح هذه الثورة الفكرية والنهضة الأدبية التي عرفتها الجزائر.

بنات النهضة الفكرية والأدبية بفضل أولئك الرجال وجهودهم حيث تعتبر ثورة ثقافية ضد المستعمر)

يمكن القول بأن الحركة الإصلاحية الناشئة بالجزائر مطلع القرن العشرين قد استفادت من تجربة الحركة الوطنية الجزائرية، ومن النظرية الاصلاحية للجامعة الإسلامية، اعتمدت على المهادنة والاهتمام بالإصلاح الديني والثقافي والاجتماعي المواجهة سياسة الفرنسة والمسخ الحضاري يضاف اليها الصبغة التجديدية التنويرية الأدبيات علماء الاصلاح كان لها عظيم الأثر على العقل الجزائري الذي بدأ يتخلص من الخطاب التقليدي الذي كانت تهيمن عليه الطرق الصوفية الجامدة.[2]

[1] فتح الدين بن أزواو، جذور الفكر الاصلاحي في الجزائر ومؤثرات (1830-1931)، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 04، جامعة المسيلة، 2017، ص ص 214-215. .

[2] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، 1900-1930، ج 2 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 173.

المبحث الثاني ا: رواد الاصلاح في الجزائر :

- الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس

ولد 11 ربيع الثاني 1307هـ /4 ديسمبر 1889م بمدينة قسنطينة[1] ، مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931م)، وأول رئيس لها، عالم ومفسر ومؤسس أول معهد لتعليم العلوم الشرعية بقسنطينة منشئ عدة مجالات وجرائد الشهاب المنتقد البصائر) من قصائدة شعب الجزائر شعب مسلم، رائد الحركة الاصلاحية في الجزائر توفي سنة 1940 بمنزله ودفن في مقبرة آل باديس الخاصة في مدينة قسنطينة. [2]

- الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي:

رائد النهضة الإصلاحية من مؤسسي جمعية العلماء (1306-1085هـ / 1889-1965) في الجزائر من حفظة القرآن الكريم، درس في القاهرة أقام مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دعى إلى الاصلاح الديني، كان مدرسا بالمساجد الكبرى ومعرفا بالقضية الجزائرية وداعيا إلى مناصرة شعبها وثورتها ومدافعا عن القضية الفلسطينية[3]

- الشيخ العلامة مبارك الميلي:

بعد الشيخ مبارك الميلي من بين المؤرخين الجزائريين الذين ساهموا في تدوين تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة والمعاصرة ، ولد في مدينة الميلية (1898-1945م) درس في جامع الزيتونة ، انخرط في العمل الاصلاحي إلى جانب إخوانه المصلحين درس طلاب العلم بالمدرسة الباديسية، هو أحد مؤسسى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين اخرج كتاب تاريخ الجزائر في القديم والحديث (1928-1932م) [4]

---

[1] محمد الصالح رمضان العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية للأستاذ عبد الحميد بن باديس، دار الفتح الشارقة، 1995، ص 02

[2] عباني عبد القادر، أعمدة الإصلاح في الجزائر، سلسلة تاريخية ثقافية، 2020، ص 04

[3] محمد عمارة الشيخ البشير الإبراهيمي، دار السلام، القاهرة، من من 13.12.

[4] رشيد مياد، الشيخ مبارك الميلي، عرض لحياته ومنهجه في الكتابة التاريخية المجلد 12، العدد 03 مجلة الباحث. جامعة المدية 2020 ص، ص 15،14

الشيخ العلامة محمد الطيب العقبي

(1890-1961) ولد في مدينة سيدي عقبة لولاية بسكرة من حفظة القرآن الكريم، نابغة في العلم وتميز في نظم الشع والأدب بدأ مسيرته الاصلاحية بالكتابة في الصحف الحجازية داعيا للإسلام، عضو في جمعية العلماء، أسس جريدة الاعلام، تولى رئاسة تحرير جريدة البصائر سنة 1935 أسس في نادي الترقي سنة 1947 لجنة الدفاع عن فلسطين [1]

- عبد الحليم بن سماية

(1866-1933) عالم دين وشاعر جزائري عمل صحفيا في عدد من الصحف الجزائرية، له عدة كتب في الفقه والفلسفة والتصوف، بدأ عملية الاصلاح بإدخال كتب جديدة في عملية التدريس ومنها

دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة قدم دروس كثيرة في الوعظ والارشاد والتفسير في الجامع الكبير. اعتمد منهج بن سماية على الجانب التطبيقي بحيث كان يحاول تطبيق مناهجه قدر المستطاع التوصيل الأفكار لتلاميذه، هو أحد المصلحين الأوائل الذين أثروا المناهج التعليمية في المدرسة والمسجد. [2]

[1] عنابي عبد القادر، مرجع سابق، ص 06

[2] مراد بن حمودة، المنهج الاصلاحي في فكر الشيخ عبد العليم بن سماية 1866-1933، المجلد 3، العدد 06، المجلة الجزائرية للبحوث، جامعة بلعباس 2017 ، ص، ص 101 106

المبحث الثالث: جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر

أولا: في مجال النهضة وإعادة البعث

انطلاقا من جامع الزيتونة بتونس الذي ضم الكثير من الجزائريين كدارسين فيه حيث عمل ثلة منهم على حمل راية الإصلاح والتجديد من خلال التأثر الكبير بالحركة في تونس أمثال البشير الإبراهيمي والشيخ العربي التبسي، أحمد توفيق المدني، والشيخ محمد خير الدين ، مبارك الميلي، ونجد على رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في الجزائر والذي عرف مدرسة التجديد الإسلامي لأول مرة في حياته عن طريق أساتذته في جامع الزيتونة وإزداد إيمانه بها قوة وصلابة واقتناع بجوها لتخليص الإسلام والجزائر مما يعيشان فيه من جهل وبدع وخرافات بالرغم من أن شخصية ابن باديس الفكرية والإصلاحية لم تتضح ملامحها في بداية عهده بالزيتونة إلا أنه كان مهتما بالتزود بالعلم حتى وجد نفسه أكثر تمكنا وواعيا لما يتطلبه دينه من التغيير المؤيد للإصلاح. [1]

بعد أن عاد الشيخ عبد الحميد ابن باديس من الزيتونة 1912م حاملا معه الكثير من العلم والمعرفة ومتأثرا بشيوخه بالجامع الأعظم إنصب على التدريس في الجامع الكبير (قسنطينة) وكانت دروسه تدور على البدع والخرافات ونبذ العصبيات الجنسية والمذهبية الحزبية" ، ومن هنا التوجه كان على ابن باديس أن يبدأ بنشر دعوته في الإصلاح والتغيير في المجتمع الجزائري عن طريق المدارس والنوادي ودروس الحضارة الإسلامية وتفسير القرآن الكريم والحديث الشريف التي أخذ يلقيها على طلابه ومريديه في الجامع الكبير وفي الجامع الأخضر في مدينته قسنطينة مسقط رأسه مواصلا العمل ببيته روح النهضة العربية الإسلامية في الجزائر داعيا الى الصلاح و الرجوع الى الطريق الصحيح[2] فيقول الشيخ عبد الحميد ابن

[1] عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر ، ج 1، دار المداد قسنطينة ، 2009، ص 271.

[2] بسام العسلي المجاهدون الجزائريون 2 دار النفائس بيروت، 1986 ، ص 13

باديس : فإننا نربي والحمد لله تلامذتنا على القرآن ونوجه نفوسهم إلى القرآن من أول يوم وفي كل يوم وغايتنا التي ستتحقق أن يكون القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة أمالها وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودهم"

من خلال البحث أهم المحاور التي عمل فيها ابن باديس كانت انطلاقا من عملية إصلاح عقلية الجزائريين وإصلاح عقيدتهم وأخلاقهم وسلوكياتهم، وقد تطورت حركة البعث والأحياء نتيجة لنشاط ابن باديس وجهوده من جهة ومن جهة أخرى نشاط مجموعة من الطلبة الزيتونيين الجزائريين أمثال الشيخ البشير الابراهيمي والذي رأى بعد عودته من الحجاز أن مجهودات ابن باديس قد أثمرت ووضع حجر الأساس لإرساء نهضة عربية في الجزائر، فما كاد الإبراهيمي يحل في مدينة قسنطينة حتى بدأ عقد الندوات العلمية للطلبة وإلقاء الدروس الدينية، كما عمدا إلى إلقاء محاضرات في النوادي والقرى وتجول في بلاد الجزائر لإلقاء دروس الوعظ والإرشاد الديني.

أما في جنوب الجزائر فقد رفع راية الإصلاح والتجديد مشايخنا المجاهدون العظماء أعلام الإصلاح الشيخ إبراهيم بيوض[1] ، والشيخ أبو اليقضان والشيخ إبراهيم طفيش[2] وممن كان لهم صدى في الحركة الإصلاحية الشيخ الطيب العقبي فمنذ عودته للجزائر أخذ يعلن أفكاره الإصلاحية السلفية، كان الشيخ يلقي دروس الوعظ والإرشاد بمساجدها ويحارب البدع والخرافات، أسس رفقة مجموعة من المصلحين من بينهم أحمد عابد والجيلالي ببسكرة جريدة صدى الصحراء في الفترة ما بين 1924-1926 م وبعدها أصدر صحيفة الإصلاح وذلك

[1] إبراهيم بيوض : يعتبر الشيخ بن عمر بيوض أحد رموز الإصلاح في الجزائر والعالم العربي والإسلامي وهو من مواليد 1899 م بولاية غرداية جنوب الجزائر خلف شيخه الحاج عمر بن يحي في التدريس تبنى الحركة العلمية ، والنهضة الإصلاحية في القرارة في شهر ماي 1931 شارك في جمعية العلماء المسلمين ينظر الخضر بوطبة الشيخ إبراهيم بيوض وجهوده في الإصلاح الإجتماعي في الجزائر ، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية ، العدد 02 ، جامعة سطيف ، ص 166

[2] نبيل بلاسي أحمد، الإتجاه العربي ودوره في تحرير الجزائر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 ص 122

في 8 سبتمبر 1927م[1] ، كان الشيخ الطيب العقبي من الكتاب البارزين في جريدتي المنتقد والشهاب يبين لأمة عن جوهر دينها تحت وطأة الطرقية فكانت هذه المقالات تهدم معاقل الطرقية " . مات في الثلاثينات.

فكان الطور الأول من الحركة الإصلاحية هو تكوين نشيء عملي حتى تكون جندا للدعوة العامة ولما أن أوان الطور الثاني رأت هذه النخبة الإصلاحية ضرورة تأسيس منظمة إسلامية لإحياء الدين.[2]

وعن بوادر إنشاء هذه المنظمة يقول البشير الإبراهيمي زارني الأخ الأستاذ عبد الحميد بن باديس وأنا بمدينة سطيف وأخبرني أنه عقد العزم على تأسيس جمعية يكون مركزها العام بمدينة قسنطينة العاصمة العلمية تجمع شمل العلماء والطلبة وتوحد جهودها » ثم وضعت قانونها الأساسي تلك الليلة ولما وصل ابن باديس إلى قسنطينة وعرض الفكرة على زملائه فأيدوا الفكرة .

فكانت النواة الأولى لإنشاء جمعية العلماء المسلمين والتي أسست 5 ماي 1931م ووضع لها قانونها الأساسي.[3]، حيث تعتبر المرحلة التأسيسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أدق مراحلها التاريخية حساسية وهذا يعود الى الظروف الإستعمارية التي كانت تمر بها الجزائر فقد كانت هناك عوامل كثيرة خففت من وطأة تلك الظروف القاسية التي وقد أشار إلى بعض تلك العوامل الشيخ الإبراهيمي الذي عزاها إلى أربعة عوامل أهمها :

---

[1] كمال عجالي، الطيب العقبي وجهوده الإصلاحية في بسكرة (1920–1930م) مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 1 نوفمبر 2001، ص 202.

[2] محمد الطاهر ، فضلاء الطيب العقبي رائد لحركة الاصلاح الديني في الجزائر ، عاصمة الثقافة العربية الجزائر ، 2007 ، ص 47.

[3] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931–1945) ، ط1 ، عالم المعرفة ، الجزائر، 2009، ص 86

أولها : أثار دعوة الإمام محمد عبده التي تأثر بها المصلحون الجزائريون وكذا مؤلفات تلميذه الشيخ رشيد رضا التي كان لها الأثر القوي في إذكاء الحركة الإصلاحية في الجزائر

ثانيها : الثورة التعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد ابن باديس بدروسه حيث كون عقولهم وشحد عزائمهم وربي نفوسهم على وجه تتشوف به إلى كل دعوة تغيير في المستقبل بقائد الدين وشعار الإصلاح

ثالثها : التطور الفكري الذي طرأ على عقول الناس من مخلفات وآثار الحرب العالمية الأولى؛

رابعها : رجوع طائفة من المثقفين الجزائريين الذين كانوا يعيشون في المشرق العربي ولاسيما الإبراهيمي والعقبي.[1]

وعن أهداف الجمعية فيقول الشيخ محمد خير الدين : «إحياء الإسلام الصحيح ، بإحياء الكتاب والسنة ونشرها بين الناس ونشر فضائلها وآدابها».

وفي ذات السياق فقد أولى رجال الجمعية أهمية معتبرة لعمل على محاربة التجنس والحفاظ على كيان المجتمع فقد أدت سياسة الإندماج والتجنس إلى إحتكاك ابن باديس وجماعته بالادارة الفرنسية ودعوة الشعب الجزائري إلى مناصرتها .

ثانيا: التربية والتعليم :

منذ عودة الشيخ عبد الحميد بن باديس من جامع الزيتونة بتونس سنة 1913م واستقراره بمدينة قسنطينة، بدأت معالم المشروع الإصلاحي في الجزائر تتبلور بوضوح، حيث أدركت الحركة الإصلاحية أن النهوض بالأمة الجزائرية لن يتحقق إلا من خلال جهود عملية ومضنية، تقوم على عمل دؤوب ومنهج تربوي واضح المعالم وسليم التوجه.

[1] أنور الدين أبو لحية ، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما ، دار الانوار للنشر والتوزيع 2016 ، ص 26.

لقد كان الشيخ بن باديس على وعي تام بأن التربية والتعليم يشكلان الركيزة الأساسية لإنقاذ المجتمع الجزائري من الانحطاط الثقافي والاجتماعي الذي فرضته سنوات الاستعمار. ومن هذا المنطلق، سخر كل طاقاته لخدمة ميدان التعليم، باعتباره الأداة الفعالة لبناء الإنسان الجزائري الواعي بدينه وتاريخه وهويته.

ومع عودة عدد من العلماء الجزائريين الذين تلقوا تعليمهم في جامع الزيتونة، أو في المشرق العربي، بدأ العمل على وضع اللبنات الأولى لمشروع التعليم الحر في الجزائر. وتمثل ذلك في إنشاء مؤسسات تعليمية خاصة كانت بمثابة الحاضنة التي استقبلت أفواجًا من الطلبة المتعطشين للعلم والمعرفة، والذين شكلوا فيما بعد طلائع النهضة الإصلاحية في الجزائر، وحملوا مشعل الوعي الوطني والديني في وجه الاستعمار الفرنسي.

فكان الشيخ عبد الحميد بن باديس أول من بدأ حركة التعليم شاملة للكبار والصغار معا، وفي عام 1930 أنشأ جمعية التربية والتعليم الإسلامية والتي كان الغرض منها هو نشر الأخلاق الفاضلة والمعارف العربية والفرنسوية والصنائع اليدوية بين أبناء وبنات المسلمين .[1]

كما أدان الشيخ ابن باديس الوضعية التي كانت عليها المراة الجزائرية في ظل تواجد الإحتلال الفرنسي والجهل، فأكد على ضرورة تعليم المرأة فيقول : «تعليم البنات تعليما يناسب خلقتهن ودينهن وقوميتهن».

لقد برزت في تلك الحقبة مجموعة من المراكز التعليمية التي نالت اهتمامًا خاصًا نظير دورها الفعّال في نشر التعليم والإصلاح، وكان من أبرزها مركز سطيف بقيادة الشيخ البشير الإبراهيمي، ومركز بسكرة الذي نشط فيه الشيخ الطيب العقبي، إلى جانب مساهمات السعيد الزاهري، ومحمد آل خليفة، بالإضافة إلى مركز الأغواط الذي تألق فيه مبارك الميلي. وفي إطار هذا التوجه الإصلاحي والتعليمي، بادر الشيخ البشير الإبراهيمي بإنشاء مدرسة صغيرة،

[1] رابح تركي عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة ، سوفم للنشر ، الجزائر ، 2003 ، ص 175-176.

خصصها لتكوين نخبة من الشباب في فنون الخطابة والكتابة الصحفية، بهدف إعداد جيل قادر على التعبير والدفاع عن قضايا أمته.

وقد لعبت المدارس العربية الحرة دورًا رياديًا في هذه النهضة التربوية، إذ أنشأها وأشرف عليها جيلٌ من المصلحين الذين تخرجوا من مدرسة الشيخ عبد الحميد بن باديس. وقد بلغ عدد هذه المدارس نحو 400 مدرسة، رغم ما واجهته من تضييق ومقاومة من قبل سلطات الاستعمار الفرنسي، التي رأت فيها خطرًا على مشروعها الاستعماري. [1]

ورغم تلك العراقيل، نجحت هذه المدارس في توحيد مناهجها وتكوين أطرها التربوية، حيث كان غالبية المدرسين من خريجي معهد ابن باديس بقسنطينة، وهو المعهد الذي أسسه الشيخ البشير الإبراهيمي تكريمًا وتخليدًا لذكرى رفيق دربه الشيخ ابن باديس. وقد تميز المعهد بنشاطه العلمي والتنظيمي، ما جعله قبلة للطلبة من مختلف أنحاء البلاد. وفي سنة 1948، بلغ عدد طلبته حوالي 800 طالب، وقد أوكلت مهمة التدريس فيه للأستاذ الجليل العربي التبسي، الذي عرف بتفانيه في العمل التربوي والدعوي.

عموما قد تميز التعليم بالمدارس الحرة بأن مديرها معلم شاب فرغ لتوه من الطور الأول من الدراسات الزيتونية وذلك بإمكانه أن يفتخر برعاية من شيخ ذي خبرة وثقافة واسعة مثل ذه البشير الإبراهيمي بتلمسان ومبارك الميلي بالأغواط وقد تمثلت برامج التدريس في هذه المؤسسات بالاعتماد الضرورية للدين القرآن الحديث، الأخلاق الإسلامية، العقيدة الصحيحة وتقديم دروس في النحو اللغة تاريخ الإسلام فكانت نتيجة هذا التعليم أن زاد عدد الطلبة الجزائريين المتخرجيين من هذه المدارس ومن جامع الزيتونة ، فأبدع عن هذا التطور التأثير الثقافي للحركة الإصلاحية السلطة الفرنسية فامتدا الخوف إلى الأوساط الحاكمة بالعاصمة ".[2]

[1] رابح تركي عمامرة، الشيخ عبد الحميد رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر ، طك المؤسسة الوطنية للإتصال الجزائر ، 2001م ، ص 387-388

[2] أحمد توفيق المدني ، محاضرات في التاريخ واللغة مج 10، عالم المعرفة الجزائر، 2010م، ص 40.

نبيل بلاسي المرجع السابق ص 125

ثالثا: في مسألة محاربة الطرق الصوفية

من أهم الأعمال الإصلاحية التي قام بها العلماء الإصلاحيين خريجي الزيتونة محاربة الطرقية فقد أوضح هؤلاء العلماء معارضتهم الشديدة لطرق الصوفية، ويعود السبب في ذلك أن الطرقيين أصبحوا يأتون بما يتبرأ منه الإسلام ويصرحون بأنه من صميمه تفشي الجهل وإنتشار الفقر وتفرق الأمة[1]

فقد كتب الإبراهيمي عن ذلك: « إن المرابطية هي الإستعمار في معناه الحديث المكشوف وعي الإستبعاد في صورته الفضيعة"[2]

قد أعلن العلماء الحرب على المرابطين تحت راية لا غموض في الإسلام، فقد عارض العلماء الموسيقى الصوفية والرقص في الحفلات الدينية وزيارة القبور كما منعوا الهدايا إلى رؤساء الجمعيات الصوفية.

فقد أوضح إبن باديس سبب محاربته للصوفية في مقالة نشرها في مجلة الشهاب بعنوان « لماذا حارب الشهاب الصوفية فقال : « حاربنا الطرقية لما عرفنا فيها علم الله من بلاد هذه الأمة من الداخل إلى الخارج ، فعملنا على كشفها وهدمها ومهما تحملنا في ذلك من صعاب وقد بلغنا غايتنا والحمد لله وقد عزمنا على أن نترك أمرها لأمة هي التي تتولى القضاء عليها وكل طرقي أو غير طرقي يكون أذنا سماعة وآلة مسخرة فلا هوادة بيننا وبينه حتى يتوب إلى الله.»[3]

إن مسألة محاربة الطرقية والجمود لم تكن تشغل بال الرأي التونسي بقدر ما كانت عليه الجزائر ، إذ كانت فعلا حجر عثر أمام الإصلاح والتجديد سيما وأن الطرقية في الجزائر كان

[1] عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 579

[2] البشير الإبراهيمي ، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين المصدر السابق ص 26

[3] عبد الحميد بن باديس لماذا حارب الشهاب الطرقية ، مجلة الشهاب ، ج 1 – 14 مارس 1938م، ص 1-7

تلقى كل الدعم من الإستعمار الذي سخرها بخبث الإفشال المشروع الإصلاحي ، وهذا ما جعل حركة الإصلاح والتجديد وعلى رأسهم الشيخ مبارك الميلي الذي رفع لواء الحرب عليهم، وقد ألف كتاب بعنوان الشرك ومظاهره لرد الأباطيل وتصحيح العقائد.[1]

وعلى رأي محمد الصالح الجابري فإن فترة مكوث الميلي في تونس كانت فترة إستيعاب علمي وإنقطاع للدارسة حيث مكث سبع سنوات.[2]

لقد أولئك الصحافة التونسية أهمية خاصة بمناسبة صدور كتابه تاريخ الجزائر القديم والحديث والذي اعتبر ضربا ضروب المقاوم وتصويب الأخطاء والمغالطات التي تعمدها الإستعمار من أجل بشرويه الجزائر فاعتبر الكتاب نهضة حقيقية.

إن أكثر الحركات التي تصدت لهذا النوع من الإستعمار هي حركة الإصلاح والتجديد في الجزائر التي كانت مرتعا لأشكال الطرقية ربما لم تعرفها أغلب الدول العربية والإسلامية الأخرى وكانت المواجهة حادة وطويلة إنتهت في الأخير بانتصار الحق على الباطل؟

رابعا: في مسألة التجنس

منذ أن وطأت أقدام الجيش الفرنسي أرض الجزائر سنة 1830م، انتهجت سلطات الاستعمار سياسة تهدف إلى الإدماج السياسي الكامل لهذا البلد، وكان الغرض من ذلك إذابة الشخصية الجزائرية في الثقافة الفرنسية الغربية، تمهيدًا لفرنسة المجتمع وتنصيره. ومع مرور الزمن، ظهرت في الساحة الجزائرية فئة تربّت في كنف التعليم الاستعماري، وتبنت توجهًا يدعو إلى التجنيس بالجنسية الفرنسية، حتى وإن كان ذلك على حساب التخلي عن أحكام الشريعة الإسلامية، خاصة في مجال الأحوال الشخصية، مقابل نيل بعض الحقوق السياسية التي حُرم منها الجزائريون المسلمون[3].

---

[1] رابح فلاحي المرجع السابق ص 93.

[2] محمد الصالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس ، دار المغرب الإسلامي، بيروت ، 1990م ص 52-53

[3] أحمد محساس، الحركة الوطنية الثورية في الجزائر من الحرب العالمية الأولى إلى الثورة المسلحة ، تر : الحاج مسعود منشورات الذكرى الأربعين للإستقلال الجزائر ، 2002 ، ص 84.

وقد كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أوائل الجهات التي تصدت لهذه الظاهرة الخطيرة، فواجهتها بقوة في الخطب الدينية، والمحاضرات العامة، وعبر المقالات في الصحف. حرصت الجمعية على توضيح الحكم الشرعي المتعلق بهذه القضية، مؤكدة أن الإسلام لا يقرّ التخلي عن جنسية المسلمين ولا عن قوانينهم وأحكامهم المستمدة من الشريعة الإسلامية.

وفي ربيع سنة 1934م، عقد أنصار التجنيس اجتماعًا عامًا طالبوا فيه السلطات الاستعمارية بتسهيل إجراءات التجنيس، مما دفع جمعية العلماء إلى إصدار موقف حاسم على لسان رئيسها الشيخ عبد الحميد بن باديس، حيث صرح بأن: "التجنيس هو في حقيقته اختيار لجنسية غير إسلامية من قبل المسلمين، وهو يمثل خيانة واضحة للتشريعات الإسلامية المقدسة التي تنظم حياة المسلمين في شؤونهم الدنيوية والأخروية". وأضاف في ذات السياق: "إن أول ثمرة لحركتنا الإصلاحية ستكون وضع حدّ نهائي لسياسة الإدماج، التي تُمارس بطريقة تؤدي إلى تقويض دعائم العروبة والإسلام في الجزائر."

ومن جهة أخرى، فقد برزت نخبة مثقفة نشأت في كنف الثقافة العربية الإسلامية، ورفضت جميع الطروحات الاستعمارية، وعلى رأسها مشروع التجنيس. ورغم بعض مظاهر التقرب من الإدارة الاستعمارية لأغراض تكتيكية أو مصلحية، إلا أن هذه النخبة بقيت متمسكة بهويتها، رافضة بشدة سياسة التبعية، ومؤكدة خصوصية الشعب الجزائري الذي يتميز بلغته العربية ودينه الإسلامي، وعاداته وتقاليده الضاربة في عمق التاريخ[1].

وفي ظل الوضع المتأزم الذي بات يهدد عروبة الجزائر وإسلامها، برز العلماء والمصلحون لمواجهة السياسات الاستعمارية الرامية إلى تجنيس الجزائريين ودمجهم قسرًا في الهوية الفرنسية. فقد تصدّوا بشدة لمحاولات فرنسا منح الجنسية الفرنسية للمسلمين الجزائريين، وهاجموا بشراسة الدوافع التي تدفع بعض الأفراد إلى قبول التجنيس تحت تأثير الإغراءات

[1] أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، المرجع السابق، ص 146.

والمصالح الشخصية. ورأى المصلحون أن الفئة القليلة التي قَبِلت التجنّس لم تفعل ذلك إلا مقابل امتيازات سياسية واقتصادية واجتماعية وفّرها لها النظام الاستعماري.

وقد لقيت هذه السياسة الاستعمارية مقاومة صلبة من مختلف شرائح المجتمع الجزائري، وفي مقدمتهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي كان من أوائل من سارعوا إلى التصدي لدعاة التجنيس. وبلغت الحملة ضد سياسة الإدماج والتجنيس ذروتها حين أصدر بن باديس فتوى جريئة باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تُدين هذه الممارسات وتعتبرها خيانة لمبادئ الإسلام وهوية الأمة.

وفي خضم هذه المواجهة، تعرضت الحركة الإصلاحية الدينية لشتى أنواع الاضطهاد من قبل السلطات الاستعمارية، بينما وجدت الحركة التعليمية الإصلاحية نفسها محاصرة بين ضغوط الفرنسيين ومنافسة الطرقيين الذين حاولوا إدخال بعض التحسينات الشكلية على أساليب التعليم التقليدي. وفي هذا السياق، أصدرت الإدارة الاستعمارية تعليمات صارمة أبرزها تعليمة ميشال في فبراير 1933، التي هدفت إلى فرض رقابة مشددة على أنشطة الإصلاحيين، والحد من توسع التعليم العربي الإسلامي الحر[1].

ورغم كل ذلك، فقد أعلن المصلحون احترامهم للاختيارات الشخصية لمن اختاروا التجنيس، وأكدوا التزامهم بروح التسامح الإسلامي، مستشهدين بقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، غير أنهم في الوقت ذاته عبّروا عن رفضهم القاطع لهذه الظاهرة، انطلاقًا من قناعات دينية ووطنية. وقد استندوا في رفضهم إلى اعتبارات اجتماعية وسياسية، مؤكدين أن التخلي عن القانون الشخصي الإسلامي مقابل الحصول على الجنسية الفرنسية يمثل تضحية جسيمة لا تُقارن بالمكاسب التي يحصل عليها المتجنسون.

وإضافة إلى ذلك، اعتبر الإصلاحيون أن ربط الحقوق المدنية والامتيازات السياسية بالتجنيس يمثل وجهًا من أوجه التعسف الاستعماري، واحتجوا على سياسة التمييز وعدم المساواة

[1] أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 238

التي كانت تتيح لأقلية متجنسة التمتع بالحقوق المدنية الفرنسية، بينما يُحرم أغلبية الشعب المسلم من هذه الحقوق، ويُخضع لنظام "الأهالي" التمييزي[1].

ومهما يكن من أمر، فإن قانون التجنيس الذي كان يشترط التخلي عن الشريعة الإسلامية مقابل الحصول على الجنسية الفرنسية قد تم إلغاؤه سنة 1947م .وقد نصّ القانون الجديد الصادر في نفس السنة على أن الجزائري يُعتبر مواطنًا فرنسيًا، مع احتفاظه بالحالة المدنية الإسلامية، مما يعني أنه لم يعد مطالبًا بالتخلي عن أحكام الشريعة في مسائل الأحوال الشخصية.

ومنذ ذلك الحين، أصبح يُشار إلى الجزائري قانونيًا بلقب" فرنسي مسلم "بدلًا من "رعية فرنسي"، وهو ما شكل تراجعًا واضحًا لمشروع الإدماج القائم على التجنيس، وهزيمة للمروّجين لفكرة الانصهار في الهوية الفرنسية على حساب مقومات الشخصية الوطنية.

ولا شك أن هذا التغيير يمثل انتصارًا لتيار المحافظة على الهوية والذاتية الإسلامية، كما سماها الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي كان من أبرز الرافضين لمشروع الإدماج، وداعيًا إلى التمسك بالعروبة والإسلام كأساس لانبعاث الأمة الجزائرية[2].

خامسا: في قضايا المرأة

كان وضع المرأة المسلمة في الجزائر قبل ظهور الحركة الإصلاحية مترديًا للغاية، وهو انعكاس طبيعي للوضع العام المتأزم الذي كان يعيشه المجتمع الجزائري في ظل الاستعمار. فقد كانت أبواب التعليم موصدة أمامها، واقتصر دورها في المجتمع على الإنجاب والقيام ببعض الأعمال المنزلية البسيطة كغزل الصوف ونسج الملابس، بالإضافة إلى المساعدة في

[1] محمد حمزة ، مواقف ابن باديس السياسية من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931 – 1940م) ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة ، 2000، ص 61.

[2] أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي (1830–1954م)، ج 6، 1 دار الغرب الإسلامي بيروت، 1998 ، ص 376

الأعمال الزراعية في المناطق الريفية. كما كانت المرأة تعاني من غياب العدالة الزوجية، حيث كانت تُزوّج دون رأي أو إرادة منها، نتيجة هيمنة الأعراف والتقاليد على الحياة الأسرية والاجتماعية[1].

ونتيجة لهذا التهميش، وقعت المرأة الجزائرية في دوامة من الجهل والحرمان والجمود، فرضتها قيود العادات والتقاليد، إضافة إلى الفهم الخاطئ للدين الإسلامي .وإزاء هذا الواقع البائس، ظهرت بعض المحاولات الفردية والجماعية من قبل مثقفين ومصلحين جزائريين، سعوا إلى لفت الانتباه إلى أوضاع المرأة والمطالبة بتحسينها، وبرز من بينهم أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين كان لهم دور فعّال في مشروع تحرير المرأة، انطلاقًا من رؤية تؤمن بأن الحرية الحقيقية للمرأة لا تتحقق إلا بالتعليم الديني والوطني السليم[2].

وقد كان للشيخ عبد الحميد بن باديس موقف ريادي في هذا المجال، إذ كان من أوائل الداعين إلى تعليم المرأة الجزائرية وتحريرها، انطلاقًا من منظور إسلامي أصيل ينظر إلى المرأة كعنصر فاعل في المجتمع، له دور محوري في تربية الأجيال وصناعة المستقبل .وقد بيّن ذلك في مقال نشره في *مجلة الشهاب* تحت عنوان "المرأة"، حيث أوضح وظيفتها في الحياة بقوله:

"المرأة خُلِقَت لحفظ النسل وتربية الإنسان في أضعف أطواره، وحملته وفصاله ثلاثون شهرًا، فهي ربة البيت وراعيته، فعلينا أن نعلمها كل ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها، وتربيتها على الأخلاق النسوية التي تكون بها المرأة امرأة."

وقد أدرك ابن باديس مبكرًا أن ترك المرأة بدون تعليم يُعد خطرًا كبيرًا على مستقبل الأمة، خاصة في ظل امتناع كثير من الأهالي عن إرسال بناتهم إلى المدارس الحكومية بسبب إشراف غير المسلمين عليها، بل وصل الأمر إلى منعهن حتى من ارتياد الكتاتيب التقليدية،

[1] أسينة بركات ، مسيرة نضال المرأة الجزائرية في الحركة الوطنية والثورة التحريرية ملتقى كفاح المرأة الجزائرية، إعداد المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، عنابة الجزائر 1996، ص 236. 68

[2] بدر حمد العازمي وآخرون، تطبيقات التربية الإصلاحية في فكر الشيخ عبد الحميد بن باديس مجلة جامعة السلام، العدد السابع ديسمبر 2018، ص 35

بدعوى حماية الأعراض والدين. وفي مواجهة هذا الواقع، جاءت مبادرة ابن باديس الرائدة في فتح باب التعليم المجاني للمرأة وتشجيعها على التعلّم، باعتبار ذلك جزءًا من التجديد التربوي الذي تبنّته الحركة الإصلاحية، وتطبيقًا عمليًا لرؤية شاملة لإصلاح المجتمع الجزائري[1].

سادسا: في قضايا الاعلام

مع ظهور الصحافة العربية في مختلف البلدان العربية، بدأت الأفكار والمضامين التي تحملها هذه الصحف تتسرب تدريجيًا إلى الجزائر، لا سيما من خلال مصر وتونس، وكذلك من المغرب الأقصى الذي ظل لفترة في منأى عن الاستعمار المباشر، بالإضافة إلى الصحف التي كانت تصل إلى الجزائر عن طريق الحجاج العائدين من البقاع المقدسة.

ومن أبرز هذه المطبوعات المؤثرة التي وجدت صدى واسعًا لدى القرّاء الجزائريين، مجلة "العروة الوثقى "التي أسسها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وهما من روّاد النهضة الإسلامية العربية في المشرق .وقد سعت هذه المجلة إلى إحياء الوعي العربي الإسلامي، والتحذير من خطر الاستعمار الذي اجتاح العالم العربي بهدف نهب موارده الطبيعية واستنزاف منتجاته الزراعية[2].

كما برزت جريدة "المنار "التي أصدرها محمد رشيد رضا في القاهرة، والتي أولت اهتمامًا كبيرًا بنشر الإصلاحات الاجتماعية والدينية والثقافية والاقتصادية، وكان لها جمهور قارئ واسع في الجزائر، حيث أسهمت في نشر أفكار محمد عبده الإصلاحية، ما جعلها منبرًا رئيسيًا لحركة الإصلاح الديني والفكري في العالم العربي، والجزائر خصوصًا[3].

أما الصحف التونسية، فقد أدت هي الأخرى دورًا محوريًا في نقل الفكر الإصلاحي، حيث لم تكتف بتوفير المادة الإعلامية والثقافية ذات الطابع الإسلامي، بل شكّلت حافزًا لمثقفي

---

[1] محمد مرغيت، إشكالية المرأة الجزائرية في أدبيات صحيفة الشهاب الجزائرية (1931–1939 م) مجلة الحقيقة العدد 34 سبتمبر 2015، أدرار، ص 10

[2] رابح تركي الشيخ عبد الحميد بن باديس (رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر) المرجع السابق ص 121 .

[3] أديب مروة، الصحافة العربية نشأتها وتطورها منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961، ص 223.

الجزائر لإصدار صحف عربية مماثلة، خاصة بعد أن أصبحت الصحف التونسية عرضة للمصادرة المتكررة من قبل سلطات الاستعمار الفرنسي، ما دفع الجزائريين إلى الاعتماد على أنفسهم في إيصال صوتهم وفكرهم[1].

وقد ساهمت الحرب العالمية الأولى وما رافقها من أحداث بارزة كقيام الثورة العربية وبروز الحركة القومية في تونس، في إيقاظ الوعي السياسي لدى الجزائريين، وزيادة اهتمامهم بالصحافة المحلية والعالمية .فقد أصبح من الصعب على المجتمع الجزائري أن يبقى معزولًا عن التأثيرات السياسية والفكرية التي فرضتها هذه التحولات، لا سيما في العالم العربي.

ومن الصحف التي لعبت دورًا مهمًا في هذا السياق، نجد مجلة "المغرب العربي "التي أصدرها محمد باشا حامبا، وهو مثقف تونسي اهتم بنشر مشكلات المغرب العربي، خاصة قضايا تونس والجزائر، من منظور قومي إصلاحي يهدف إلى التنوير والتحرر من الهيمنة الاستعمارية[2].

ولا شك أن تأخر بروز الحركة الوطنية في الجزائر يعود إلى القيود الصارمة التي فرضها الاستعمار الفرنسي، من خلال غياب الحريات العامة، وعرقلة سبل الطباعة والنشر، ما أدى إلى تجميد كل محاولة لإحياء التراث الوطني أو تأسيس صحافة حرة أو خلق أدب يعكس الواقع الجزائري المتحوّل .فقد عمل الاستعمار على إخماد كل جذوة فكرية من شأنها أن توقظ الوعي الوطني أو أن تثير الانتباه إلى الحقوق المغتصبة للشعب الجزائري.

وفي ظل هذا الواقع، تأثر المثقفون الجزائريون بالحركات الصحفية والفكرية في المشرق العربي، وخاصة في مصر وتونس، مما دفعهم إلى تأسيس صحافة وطنية موازية للصحافة الشرقية،

[1] عواطف عبد الرحمان، الصحافة العربية في الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1985 ، ص 31.

[2] عبد الكريم بوصفصاف ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931– 1945 م) المرجع السابق، ص 64.

سواء أكانت ناطقة بالعربية أو بالفرنسية. وفي هذا السياق، شهدت الفترة الممتدة من سنة 1900 إلى 1911 صدور أول صحيفتين جزائريتين.

الأولى هي جريدة "المغرب"، التي صدرت في الجزائر العاصمة بين سنتي 1903 و1913، وكانت تصدر مرتين أسبوعيًا .وقد وصفها الإمام محمد عبده بأنها – رغم عيوبها – كانت تمثل "شعاعًا مضيئًا" للجزائريين المحرومين من صحافة تعبّر عنهم وبلغتهم القومية[1].

أما الجريدة الثانية، فهي "المصباح"، التي أصدرها العربي فخار في مدينة وهران بين 1904 و1905، وكانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية، في محاولة للوصول إلى أوسع شريحة من الجمهور.

ومن الصحف الأخرى التي ظهرت في تلك الحقبة، نجد:

- جريدة "الجزائر "لصاحبها عمر راسم، والتي صدرت سنة 1908، لكنها توقفت بعد صدور عددين فقط.
- جريدة "الإسلام"، التي بدأت باللغتين العربية والفرنسية بين سنتي 1912و1913، ثم أصبحت تصدر بالفرنسية فقط حتى سنة 1914، تحت إشراف كل من صادق دندن وعز الدين القلال.
- جريدة "ذو الفقار"، التي صدرت في الجزائر العاصمة بين 1913و1914، وكان رئيس تحريرها عمر راسم، الذي كتب تحت اسم مستعار هو ابن منصور الصنهاجي، وكان من المتأثرين بأفكار محمد عبده الإصلاحية .إلا أن السلطات الاستعمارية أدركت خطورة خطها التحريري، فأوقفتها بعد صدور عددها الرابع، متذرعة باندلاع الحرب العالمية الأولى.

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ، ج 3 ، المرجع السابق، ص 156.

وفي سنة 1919، أصدر الأمير خالد جريدة "الإقدام"، والتي كانت أول جريدة تعبر بوضوح عن آلام الجزائريين وتطالب بحقوقهم السياسية والمدنية، فشكّلت بذلك سلاحًا إعلاميًا للأمير خالد في كفاحه من أجل القضية الجزائرية.

وفي نفس العام، صدرت جريدة "النجاح "في قسنطينة، لصاحبها عبد الحفيظ بن الهاشمي، واعتُبرت من أهم الجرائد الجزائرية في تلك المرحلة الحساسة، حيث شكلت سجلًا يوميًا للأحداث السياسية والاقتصادية في الجزائر، وخاصة في قسنطينة.

أما من حيث الصحافة الإصلاحية، فقد برز الشيخ عبد الحميد بن باديس بجهوده الإعلامية من خلال تأسيسه:

- جريدة "المنتقد"، التي صدرت سنة 1925، وكانت لسان حال الحركة الإصلاحية.
- جريدة "الشهاب"، التي تحوّلت لاحقًا إلى مجلة شهرية، وقد تولّت قيادة المشروع الإصلاحي في الجزائر، وشكلت منبرًا فكريًا وأدبيًا وعلميًا رفيعًا، حيث عُرفت بمواقفها الجريئة في مقاومة الباطل، والدعوة إلى النهضة الإسلامية والعربية.

لقد مثلت جريدة الشهاب بالفعل مدرسة متكاملة متعددة الأبعاد، جمعت بين الفكر، والأدب، والدين، والسياسة، وساهمت بقوة في تأطير الوعي الوطني والثقافي لدى الجزائريين، خاصة في ظل الظروف الاستعمارية القمعية[1].

لقد مثّل الشيخ أبو اليقظان أحد أعمدة الصحافة الوطنية الجزائرية في فترة ما بين الحربين العالميتين، إذ كان من أوائل المثقفين الذين آمنوا بأن الصحافة ليست مجرد وسيلة إعلام، بل أداة فعالة للنهوض الفكري والديني والسياسي للمجتمع، خاصة في ظل هيمنة الاحتلال الفرنسي على وسائل التعبير ومحاولته طمس الهوية الوطنية. ومن هذا المنطلق،

[1] محمد ناصر الصحف العربية الجزائرية (1847-1939م) ، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار الجزائر 1980ء ، ص 35.

اتخذ أبو اليقظان من الصحافة مهنة ورسالة حضارية، فأسهم في تحرير ومشاركة العديد من الصحف الجزائرية والتونسية، كما بادر إلى تأسيس ثماني صحف بين سنتي 1923 و1938، حملت كلها أهدافًا إصلاحية واضحة ومضامين تنويرية عميقة. ومن أبرز هذه الصحف نذكر : جريدة "وادي ميزاب "التي تأسست سنة 1926 وطُبع عددها الأول في تونس وبدأ صدورها رسميًا عام 1930، إضافة إلى جريدتي "النور" و"البستان" سنة 1933، وجريدة "الأمة" سنة 1938 .وقد تنوعت المواضيع التي تناولتها هذه الجرائد، لكنها اشتركت جميعًا في الدفاع عن القيم الإسلامية، والدعوة إلى التمسك باللغة العربية، ونشر الوعي الوطني ومواجهة الجهل والتغريب.

ومن جهة أخرى، لا يمكن الحديث عن الصحافة الوطنية الجزائرية دون التوقف عند جريدة "البصائر"، التي تُعد لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وواحدة من أهم الأدوات الإعلامية التي اعتمدتها الجمعية في الدعوة إلى الإصلاح الديني والفكري والاجتماعي .وقد صدرت الجريدة على سلسلتين :الأولى من 1935إلى 1939، والثانية من 1947إلى 1956 .وقد لعبت "البصائر" دورًا بالغ الأهمية في نشر الفكر الإصلاحي للجمعية، ومجابهة السياسات الاستعمارية، والتنديد بمحاولات فرنسة المجتمع الجزائري .كما ساهمت الجريدة في توعية الرأي العام بمخاطر الجهل والتغريب، والدعوة إلى ضرورة التمسك بالهوية الإسلامية والعربية .وقد تميزت مضامينها بالتوازن بين الطرح الديني العميق، والنقاشات الاجتماعية والسياسية الواقعية، مما جعلها تحظى بانتشار واسع وتأثير كبير داخل الأوساط الشعبية والمثقفة على حد سواء[1].

وما يُحسب لهذه الجريدة أنها واكبت عن كثب انطلاق الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954، حيث ساندت مطالب الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال، وكانت من بين آخر الأصوات الحرة التي حاول الاستعمار إسكاتها، فتوقفت عن الصدور سنة 1956 بفعل الرقابة

[1]محفوظ قداش تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1939) ، ج 1 دار الأمة الجزائر – 2011 – ص 39.

والقيود الاستعمارية المشددة، لتظل مع ذلك واحدة من أنصع الصفحات في تاريخ الصحافة الوطنية الجزائرية.

الفصل الثالث

أثر جامع الزيتونة على الحركة الإصلاحية

بمدينة الاغواط

المبحث الأول: النشاط الإصلاحي في منطقة الاغواط قبل مجيء مبارك الميلي:

المبحث الثاني: النشاط الإصلاحي للشيخ مبارك الميلي

المبحث الثالث : النشاط الإصلاحي أحمد شطة

المبحث الأول: النشاط الإصلاحي في منطقة الاغواط قبل مجيء مبارك الميلي:

الأغواط مسرحا لنشاط دؤوب في المجال التربوي والإصلاحي لما تميزت به من مظاهر ثقافية من علماء وفقهاء والمبادرات الإصلاحية المبكرة التي بثت في المجتمع الأغواطي فكرة الإصلاح والنهضة فاستقبلت بذلك العديد من أعلام النهضة الإصلاحية المؤسسين لنواة النهضة والتعليم كالشيخ د السعيد الزاهري الليانى والشيخ مبارك بن محمد الميلي هذا الأخير الذي طال به الأمد في منطق أغواط، والذي أسهم في بعث رسالة التعليم.

يعود إنشاء مدرسة الأغواط الأولى إلى الشيخ العزيز ابن الهاشمي[1] – مؤسس الطريقة القادرية والتي كانت لها فروع في الأغواط[2]، حيث ساهمت الطريقة في بث النهضة التربوية وذلك لعلاقتها الوطيدة بالشيخ عبد العزيز بن الهاشمي الذي يعود في استقدام الشيخ ألزاهري للتدريس في مدينة الأغواط[3] ، وكان هو أول من ابتدأ التعليم وخمسين فرنكا وكان الزاهري يعلم العلوم العربية الابتدائية ، القراءة والخط ومبادئ الفقه والنحو ولم يكن في مدرسته قرآن فكان تلاميذه يحفظونه في كتاتيبهم وكان الزاهري كان بحاجة إلى معلم آخر يعينه في إعطاء الدروس الشريعة الإسلامية[4]، فاستدعى العزيز الهاشمي الشيخ مبارك الميلي للتدريس بالأغواط فلبى هذا الأخير الدعوة و تعاونا الشيخان على نشر العلم الصحيح والدين الخالص[5].

---

[1] محمد على دبوز، **نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة**، ج 3، عالم المعرفة، الجزائر ، 2013 ،ص 24

[2] 2 أحمد الأمين ، صور من الحياة الثقافية في مدينة الأغواط بداء من القرن 18 الببدايات القرن (20) مقالات في التاريخ الثقافي لمنطقة الأغواط أعمال الملتقى الدولي الأول اتحاد لكتاب الجزائريين ، فرع الأغواط، 14–16 أفريل 1998 ، ص53–54.

[3] صلاح مؤيد العقبي ، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطاتها ، دار البرق ، بيروت ، 2002، ج1، ص360.

[4] محمد علي دبوز ، المصدر السابق، ص ص 248–251

[5] دون توقيع ، التعاون الإصلاحي الشيخ مبارك الميلي وعبد العزيز)، في مجله الشهاب ، ع 49، الاثنين 23 أوت 1926، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001 ، مج 3، ص ص247 – 248–

الفصل الثالث

أثر جامع الزيتونة على الحركة الإصلاحية بمدينة الاغواط

انتقل الشيخ مبارك الميلي إلى الأغواط سنة 1926م بالجنوب الجزائري وأحدث جو إصلاحي هناك، إذ وجد لبنة هذا المجتمع صالحة لترسيخ الأفكار الإصلاحية[1] وبمجئ مبارك الميلي غادر الشيخ محمد السعيد الزاهري مدينة الأغواط معظما مكرما طيبا ، حيث لم يفارق البلدة حتى وجد من يقوم بمهنته فيما يتعلق بأمر المكتب وهو الأستاذ الشيخ مبارك الميلي[2]"، حيث قال ما كنت لأقوي على ترك هذا العمل الجليل بهذه البلدة الطيبة لولا أن أسبابا علمها عند الله وعندي لا غير قد اضطرتني إلى السفر إلى بسكرة[3]، التي ظفر لي المقام بها بعد ذلك وأخرى لأني وجدت زميلي الشيخ مبارك الميلي يقدر أن يخلفني في إتمام ذلك العمل[4]، ولما دخل مبارك الأغواط وجد جلول فرحات التي كان لها نفوذ شامل والشهرة الواسعة والسلطان المكين في المنطقة المساعدة والعون وأيدت جهوده باندفاع وكان لها الفضل الأكبر في نجاح بقائه في المنطقة التي استعانت به على النيل من نفوذ الطرق الضاربة في ربوع المنطقة فعلم مبارك الميلي القصد من ذلك غير أن جهة نظره اغتنم الفرصة واستغل القصد إلى حد بعيد من يظهر العداء لأحد[5].

---

[1] محمد السعيد قاصري ، قاصري محمد السعيد دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1962-1830)، دار الرشاد الجزائر ، 2013 ص 500

[2] دون إمضاء ، تكذيب إشاعة البلاغ الجزائري) في مجلة الشهاب ، ع 101 ، 15 جوان 1927م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 2001 ، مج 3، ص 23

[3] عبد القادر بومعزة ، بسكرة في عيون الرحالة الغربيين ، دار علي بن زيد للطباعة والنشر ، بسكرة ، الجزائر ، 2010، ج1، ص 20-24.

[4] محمد السعيد الزاهري، إلى بني الأغواط ، في مجلة الشهاب ، ع ،103، 30 جوان 1927م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2001 ، مج 3، ص 53.

[5] الأخضر بالمبارك وآخرون ، مدرسة التربية والتعليم الإسلامي 1948-1998 مدرسة أحمد شطة في ذكراها الخمسون بالأغواط ، دون نشر د س ، ص 119

المبحث الثاني: النشاط الإصلاحي للشيخ مبارك الميلي

باستقراره بالأغواط عمد على أن يحتل التعليم أفضل المناصب خاصة وأن التعليم بمنطقة الأغواط كان ينحصر في المساجد والزوايا التي أصبحت مهددة بسياسات فرنسا التعسفية فدعا إلى العلم والتعلم وتحين كل فرصة كان يجالس بها سكان منطقة الأغواط ،ليبث فيهم روح

اليقظة وكان أول عمل دعا إليه مبارك الميلي بالمنطقة هو تأسيس مدرسة | الأغواط الذي كان يرى فيهم روح المبادرة والإرادة علي طلب العلم

- تأسيس مدرسة الشبيبة:

المرحلة الأولى : الدعوة لتأسيس المدرسة ورخصة الافتتاح

بعد أن استقر الشيخ مبارك الميلي بالأغواط واستقام له الأمر دعا لتأسيس مدرسة لتعليم البنين والبنات، ومهد لهذا العمل بالحث على البذل والتعاون على الخير، وكان ذلك عن طريق محاضراته وخطب الجمعة بالمسجد وقد انهالت عليه جميع فئات الأمة لسماع محاضراته [1].

فمشروع مبارك الأصل هو إقامة مدرسة عربية عصرية لتعلم التي كان يأمل في إنشائها بقسنطينة إلا انه لم ينجح[2] ولأن القانون الذي أصدرته فرنسا في 24 ديسمبر 1904 م يمنع كل جزائري من فتح مدرسة بدون رخصة يتعرض لعقوبة السجن والتغريم [3]، ومنطقة الأغواط تختلف عن قسنطينة إذ تعتبر خاضعة للنظام العسكري والإدارة الفرنسية وفتح مدرسة يتطلب إلى عناء كبير ووسائط[4]، فتعاون مع بعض المعلمين بميدان الثقافة والتعليم من الأغواطيين على تدشين مدرسة تعليمية جديدة وتحالفت طائفة منهم في إحداث مكتب عربي لتقييم هذا الفرض الشريف وإقامته على أساس متين والقيام بلوازم المكتب وسجلت نفسها رسميا بذلك لمدة ثلاث سنوات وهي مدة تكفي لظهور نتيجة بالمكتب الشيخ مبارك الميلي الكفؤ والرجل

[1] محمد الحسن فضلاء ، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر ، 4 ج، دار الأمة ، الجزائر ، بي الحر بالجزائر 1999، ج2، ص174.

[2] أمينة مطعم ، جهود الشيخ مبارك الميلي في الإصلاح العقدي ، دار الفكر ، الجزائر ، 2013، ص 147.

[3] محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، المرجع السابق، ج 1، ص 19.

[4] أمينة مطعم، المرجع السابق، ص 146.

القادر على أخذ زمام هذا المشروع فاختاره المؤسسون للنهوض بالعمل فقبل بكل انشراح بعد أن صدر الإذن الحكومي والرخصة بفتح المدرسة[1].

ويذكر ابنه محمد الميلي انه بعدما وجه له الكومندان حاكم ملحقة الأغواط رخصة بفتح المدرسة تحمل تاريخ 26 جانفي 1927 م وقد كتب أسفلها الشيخ مبارك الميلي العبارة التالية " أجبت عنه 28 جانفي 1928 م ووقع الجملة بإمضاء إبراهيمي وليس الميلي[2]..

المرحلة الثانية: الاحتفال بفتح مدرسة الشيخ مبارك:

عقدت اللجنة المؤسسة بعد الحصول على رخصة إحتفال شيق بمناسبة فتح المكتب وعينت له يوم الأحد 13 فيفري 1927 م وقبل العاشرة صباحا من ذلك اليوم تواعد الناس على المكتب أفواجا، وقد حضر التلاميذ المعنيون للقراءة بهذا المكتب وما إن بلغت الساعة العاشرة حتى جاء الكومندان رئيس ملحقة الأغواط والترجمان الحربي ومدير المكاتب الفرنسية، ثم جاء باشا أغا الأغواط السيد جلول وعين برئاسة هذا الاحتفال الذي كان له الفضل في الوساطة لافتتاح المكتب[3]، ثم قام السيد الكومندان بإلقاء خطاب شكر فيه لجنة التأسيس وحرصه على تعليم اللغة العربية، وأشار بأن هذه المؤسسة ليست معدة لقراءة القرآن وإنما تعليم اللغة العربية لأن التراث يصعب فهمه وطلب من الشيخ مبارك الميلي أن يعلم هؤلاء الصبية طاعة الوالدين والخلق الحسن والنظافة وأن يذكرهم بإحسان الدولة الفرنسية الجزيل ويحرصهم على أن يكونوا لها من الشاكرين[4]، بعدما أتم الكومندان خطابه ألقى أستاذ المكتب الشيخ مبارك الميلي خطابه

[1] دون إمضاء ، الاحتفال بافتتاح مكتب بالأغواط ، في مجلة الشهاب ، ع 85 ، 24 فيفري 1927م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 2000 ، مج 5، ص ص 854-855

[2] محمد الميلي، الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني، دار الغرب الإسلامي، بيروت 21 2001، ص، 121.

[3] دون إمضاء، الاحتفال بافتتاح مكتب عربي بالأغواط ، المصدر السابق ، ص 56.

[4] 18 دون إمضاء، (ملخص خطاب السيد الكومندان رئيس ملحقة الأغواط الذي ألقاه في افتتاح المدرسة)، في مجلة الشهاب ، ع 87 ، 10 مارس 1927م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2001 ، ج2 ، ص ص 888-889 .

شكر فيه الحاضرين ووضح غاية المشروع،[1] وما فيه من مساعدة لتعميم المدنية بين الأهالي وشكر كل من أسهم في القيام بهذا المشروع وقد استطاع مبارك الميلي بذكائه أن يقنع بأن الإصلاح الديني هو مذهب غير متناقض مع سياسة الحكومة[2]، ثم تلا عيسى الزّهار [3] بخطاب يغرس فيه الأغواطيين على مساعدة المكتب ولما انتهى الخطباء وخطبهم أعلن السيد عيسى الزّهار انتهاء الحفل فخرج الناس وهم يحسون بعصر جديد والكل يهنئ صاحبه بهذا اليوم فقد أحدث الاحتفال تأثيرا عميقا في نفوس الأغواطيين[4].

2-النظام التعليمي للمدرسة:

بعد افتتاح مدرسة بالأغواط كان لا بد على الشيخ مبارك الميلي وضع هيكل تعليمي بما أنه المشرف على التعليم فيها فقام بوضع هيكل تعليمي عصري لتسيير وتنسيق التعليم فيها وكان نظام المدرسة حديثا كالتالي:

هياكل المدرسة: كانت مدرسة الشيخ مبارك الميلي في مكان حسن بالمدينة وفي حي عربي نظيف وانتقل إليها التعليم بسرعة وانهال عليها التلاميذ إناث وذكورا وسماها الشيخ وصحبه بمدرسة الشبيبة [5]، وكانت مجهزة تجهيزا حسنا وبجميع الأدوات ونظم المدرسة الحديثة[6].

أصناف التلاميذ: كان يستقبل الشيخ مبارك الميلي صنفين من التلاميذ في المدرسة تلاميذ محرمون من التعليم في المدارس الفرنسية وتلاميذ يخرجون من المدرسة الفرنسية[7].

---

[1] دون إمضاء، الاحتفال بافتتاح مكتب عربي بالأغواط ، المصدر السابق ، ص ص 888-887

[2] علي مراد ، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر – بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925-1940 ، تر محمد يحياتن دار الحكمة ط الجزائر، 1990، ص 110.

[3] عيسى الزهار : ترجمان الشيخ مبارك الميلي بالأغواط . ينظر : مبارك الميلي تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المصدر السابق، ج 1، ص 10.

[4] دون إمضاء، الاحتفال بافتتاح مكتب بالأغواط، المصدر السابق، ص 888

[5] محمد علي دبوز ، المصدر السابق، ص 239.

[6] دون إمضاء، التعليم العربي بالأغواط والأستاذ مبارك الميلي وأنصاره، المصدر السابق، ص 417.

[7] محمد حسن ، فضلاء ، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 257.

وكان عدد تلاميذ الشيخ مبارك الميلي في البداية نحو سبعين تلميذ وفيهم ست فتيات ثم صرنا ثماني فتيات ثم ازداد عددهم يتطور ونشاط المدرسة وكفاءة الشيخ في التربية والتعليم[1].

أوقات التعليم: فتح الشيخ مبارك الحجم الساعي إلى 10 ساعات في اليوم التلاميذ المسجلين بالمدرسة يقضون من الساعة الثانية إلى الحادي عشر صباحا ومن الثانية بعد الزوال إلى الرابعة زوالا أما تلاميذ المدرسة الفرنسية فيستقبلهم بعد الرابعة زوالا ومن هنا يكتمل الحجم الساعي لعشر ساعات في اليوم[2] ، وقد كان تلاميذ المدارس الفرنسية يدرسون في أيام العطل السنوية ولا تتعطل مدرسة الشيخ إلا في الأعياد الإسلامية ويوم الجمعة أما يوم الأحد كذلك النصف الأول من يوم الخميس أما العطلة الصيفية فيأخذ منها شهرين ويوقف الدراسة في شهر أوت الشديد الحر [3]، أما فيما يخص البرنامج التعليمي؛ فقد كان يوزع إلى خمسة سنوات المقبلين المتعلمين على المدرسة الأغواطية لديهم الوقت التعليمي لمدة سنتين كقسم تحضيري الأولى والثانية ثم ينتقلون على يد ثلاث سنوات لتقييم والتعليم وهنا نجد تقارب وتشابه لمدارس جمعية علماء المسلمين لذا كان الشيخ مبارك الميلي من السباقين الأوائل إلى العصرنة قبل تأسيس جمعية علماء المسلمين الجزائريين[4].

مواد التدريس: من بين مواد التدريس التي كان يدرسها الشيخ مبارك الميلي هي النحو والفقه والتاريخ الإسلامي وقد أضاف الشيخ مبارك تاريخ الجزائر، ولعل هذا السبب الذي جعله يتنبه أن تاريخ الجزائر لم يكتب من قبل[5] .

ولم تعرف المدارس العربية الحرة بالجزائر في بداية أمرها استيراد الكتب المدرسية من الشرق

---

[1] محمد علي دبوز ، المصدر السابق ، ص 257.

[2] حدة طيطوش ، الشيخ مبارك الميلي ودوره في التربية والتعليم بالأغواط 1927-1933م)، التعليم الإصلاحي بمنطقة الأغواط 1926-1962م ، المرجع السابق (مداخلة مسجلة).

[3] محمد علي دبوز ، المصدر السابق ، ص 57.

[4] حدة طيطوش ، المرجع السابق ، مداخلة مسجلة)

[5] المرجع نفسه ،(مداخلة مسجلة.)

فكان على المدرس أن يعد ملخصات لتلاميذه حسب درجاتهم وليس هذا بالفعل ولا يمكن لكل أحد لكن مدرسة الشيخ مبارك الميلي بالأغواط من أولى المدارس الجزائرية التي زودها الأستاذ بكل ما تحتاجه من طبقاتها من كتب دراسية بمختلف العلوم الدينية والعربية والمنطقية واستطاع الشيخ الميلي أن يكتب دروس النحو وأخرى لتوحيد والفقه وشرح بها كتب لطبقة النهائية في المدرسة المبادئ المنطقية.[1]

فقد أراد الشيخ مبارك إعطاء المدرسة طابعا عصريا من خلال المناهج التي جاء بها للمدرسة ووصته لكتب مدرسية حتى يكون التعليم منظما وأدرج مناهج بيداغوجية لتلقين التاريخ وبث الروح الوطنية لتلاميذ من خلال الأناشيد الوطنية والتركيز على التاريخ الإسلامي[2].

منهج وأسلوب الشيخ مبارك الميلي في المدرس:

يميل الشيخ مبارك الميلي إلى المنهج السلفي في بيان كل مسألة واهتمامه بالغة العربية لأنه يرى بأنها الوسيلة الوحيدة التي تسمح له بإدراك المعاني التي يرمي إليها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة[3]. كاون يحاول الأستاذ الميلي أثناء شرحه أن يتجاوز الأسلوب التقليدي ألا وهو الاستظهار واعتمد بدله التلقين المختصر[4]، إذ يذكر أحد تلاميذه أن أسلوبه في تعليم القواعد هو الإيضاح والاختصار إذ كان الوقت ضيق لمزاحمة المكتب الفرنسي له، وكان يرى تضييعه في سفاسف الأمور جريمة لا تغتفر[5].

---

[1] أبوبكر بلقاسم الأغواطي ، أبـ الأغواطي ، أبو بكر بلقاسم الأغواطي ، عصامية الشيخ مبارك الميلي)، في مجلة البصائر ، السنة الثالثة ، ع 26 ، الاثنين 8 مارس 1948م ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2000 ، مج 5 ، ص212.

[2] علي قشاشني ، أضواء على النشاط التعليمي والإصلاحي للشيخ مبارك الميلي بمدينة الأغواط وضواحيها ، التعليم الإصلاحي بمنطقة الأغواط 1926-1962 ، المرجع السابق ، (مداخلة مسجلة).

[3] عبد الرحمان الجيلالي ، عبد الرحمان الجيلالي ، من وحي ذكرى مرور أربعة عقود سنوية على وفاة ع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية فى مجلة الثقافة ، العلامة النابغة الشيخ مبارك الميلى)، في الجزائرية ، 1984، ص126

[4] أحمد بن بوزيد قصيبة ، حياة رجل الإرادة مبارك الميلي (1998-1945)، في مجلة البصائر ، ع 26، لاثنين 8 مارس 1948 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000 ، مج 5، ص 205.

[5] المصدر نفسه ، ص 205.

أما عن أسلوبه مع تلاميذه فقد وجد مبارك الميلي في تلاميذه الإقبال العظيم والإرادة والطموح القوي فقد التف حوله ثلة من الشباب ونفخ فيهم روح العلم الصحيح رسخ فيهم مبادئ الشباب الواعي الناضج والتحرر من كل المعتقدات البالية فقد كان يلعب دور المعلم والمربي في آن واحد[1].

يذكر ابنه محمد الميلي أنه قرأ رسالة لأبيه وجهت له من طرف الشيخ العرب التبسي للشيخ مبارك الميلي يطلب منه أن يطلعه على الأسلوب الذي كان يعامل به تلاميذ المدرسة في الأغواط فكتب له الشيخ مبارك الميلي " إن وعدت فأنجز وإذا أوعدت فتغافل وإن ذكرك أحد التلاميذ بالوعيد فنفذه مع إظهار كراهيتك لمن ذكرك[2].

إذ نلاحظ من خلال هذا المقتطف أن الشيخ مبارك الميلي لم يكن يدرس في التلاميذ فقط بل كان يلعب دور المربي الواعظ في المدرسة وهذه من سمات المعلم الناجح.

2-3 هيئة التدريس:

الشيخ مبارك الميلي:

كان الميلي نموذج المعلم المخلص الصبور في عمله فقد اهتم بتلاميذه بالأغواط الذين أبدوا رغبتهم الطموحة والاستعداد العظيم إلى العلم والتلقي فاهتم بهم الشيخ وقربهم إليه وأحاطهم بعناية خاصة[3]، وأعانه في التعليم بالمدرسة طول مقامه بالأغواط الشيخ محمد ابن عزوز بكل إخلاص وتفاني في العمل[4].

محمد ابن عزوز:

[1] مصطفي بن واز ، المدرسة الإصلاحية بالاغواط الواقع والتحديات التعليم الإصلاحي بمنطقة الأغواط 1926- 1962م..... المرجع السابق، ص 5. (سلمت لي من طرف صاحبها).

[2] محمد الميلي ، المصدر السابق ، ص 83.

[3] مصطفى بن واز ، المرجع السابق ، ص 5 .

[4] أحمد بوزيد قصيبة ، المصدر السابق ، ص 205.

محمد بن عزوز كان المعين المخلص للشيخ مبارك الميلي في التربية والتعليم بالمدرسة[1]، وهو ينتمي لعرش أولاد يعقوب بزرارة من قبيلة بني هلال والذي ولد سنة 1897 م بزقاق الحجاج بالأغواط، بدا حفظ الأحزاب الأولى القرآن الكريم بمسجد بالجلفة [2] عند الشيخ علي بن خميلة. وأكمل حفظ القرآن عند الشيخ الركزة، وفي سنة 1915 م بدأ الشيخ بن عزوز في تحفيظ القرآن إلا انه كان يفتقر لأصول الفقه والنحو ومع مرور السنين ومطالعته للكتب تعلم النحو والفقه وأدخلهم في تعليمه للصغار، إلى أن قدم الشيخ مبارك الميلي للأغواط وشاءت الأقدار أن يدرسّا في محل واحد وكان يستفيد من دروس الشيخ مبارك الميلي وكان ابن عزوز للأغواط وشاءت الأقدار أن يدرسّا في محل واحد وكان يستفيد من دروس الشيخ مبارك الميلي وكان ابن عزوز الأقرب للشيخ مبارك الميلي عندما كان يدرسا معا وكان ابن عزوز من خيرة المعلمين بمنطقة الأغواط[3]، فقد كان يشرف على تعليم التلاميذ المبتدئين في المدرسة وتدريسهم المبادئ الأولية في السنة الأولى والثانية ثم يقضي التلاميذ ثلاث سنوات عند الشيخ مبارك الميلي[4].

ويعتبر الشيخ ابن عزوز أول مواطن أغواطي له الشرف بكلمة ترحيبية للشيخ ابن باديس عندما زار مدرسة الشيخ مبارك الميلي سنة 1932 م، وعند دخول الشيخ ابن باديس كان الشيخ ابن عزوز يلقي درسا قرآنيا فألقي عليه ابن عزوز كلمات ترحيبية، وقد أعجب به الشيخ عبد الحميد بن باديس وقال له أنت مربي وأعجب بتكوينه وتدريسه، وأثناء زيارة الشيخ ابن باديس قام

[1] الأخضر بالمبارك وآخرون ، المرجع السابق ، ص 121.

[2] عبد العزيز عدلاوي ، الأمثال الشعبية ضوابط وأصول منطقة الجلفة نموذجا ، دار الأوراسية ، الجلفة ، الجزائر ، 2010، ص 17.

[3] محمد بن علي بن عزوز الأغواطي مقال متاح بالموقع ، https://mohamedlaghouat.over blog.com2014/03/53231418-ce4c.html.html على الساعة 14:00 12/5/2020،

[4] محمد علي دبوز المصدر السابق ، ص 258.

بتقديم درس بالمسجد الكبير وشرح فيه سورة البينة وحضره جمعا غفيرا وأعجب الحاضرون بكلامه ونصائحه[1].

ومن خلال هذه الزيارة نستنتج أن مدرسة الشيخ الميلي استقبلت علماء مدرسين كالشيخ عبد الحميد بن باديس الذي بث الروح الوطنية في أبناء الأغواط عامة وأبناء المدرسة خاصة بزيارته لها.

2-4 النشاط التعليمي والدور الإصلاحي لمدرسة الشبيبة:

-إجراءات الامتحانات التقييمية بمدرسة مبارك الميلي:

استطاعت مدرسة الشبيبة بالأغواط أن تحرز تقدما وتطورا بفضل مجهودات الشيخ مبارك الميلي[2]، إذ حرص على الشيخ الميلي على تلقين الدّروس ومتابعة مستوى التلاميذ فكان يحدث امتحانات لتقييم الأعمال والإنجازات فقرر مع أعضاء لجنة المدرسة إجراء امتحانات على كافة المستويات والأطوار[3].

[1] شهادة بخط الشيخ محمد بن عزوز التي تمثل الكلمات الترحيبية التي ألقاها على الشيخ ابن باديس وأحداث زيارته بالأغواط ، مؤرخة في 1932م ، متاحة على الموقع الرسمي لشيخ محمد بن عزوز/http://samokey.over-blog.fr علي الساعة: 14:00 يوم 2020/5/12 ،

[2] دون إمضاء، الأستاذ النفاع الشيخ مبارك الميلي المدرس بالأغواط) ، في مجلة الشهاب ، دع، جويلية 1930م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2001 ، مج 6، ص 430.

[3] علي قشاشنة ، المرجع السابق ، مداخلة مسجلة).

وشرعت اللجنة المؤسسة في تشكيل امتحان بعد اطلاعها على مناهج والمقررات وطبيعة المواد المدرسة من خلال تصفحها لكراريس التلاميذ وأمتحن التلاميذ بحضور أوليائهم وكان الامتحان شفويا وقد فرح أولياء التلاميذ بالنتائج [1].

لكن الأستاذ مبارك الميلي لم ترضه هذه النتيجة فقد كان يأمل بنتائج أعلى مستوى وفي خطابه ألقاه على الحضور بعد الانتهاء صرح بأن من واجبه أن لا يشاركهم الإعجاب بهذه النتائج وأشار إلى أن أولا العراقيل التي تواجه المدرسة لكانت النتائج أعلى مستوى وأحسن بكثير من التي أحرزها تلاميذه[2].

كان التلاميذ الشيخ مبارك نماذج يقتدي بها في العلم والاستعداد وأضحوا من أصغيائه آخذو الفقه والنحو والبلاغة والتوحيد من أستاذهم، الذي استطاع تكوين جيل ريادي حيث كان التكوين متينا مؤسس تأسيس أكاديمي دقيقا وأهم ما رسخه الأستاذ في تلاميذه الذوق الرفيع وتطعيم الثقافة الشرعية واللغوية بالقطوف الأدبية التي تمخضت عنها قرائح العباقرة.[3]

كذلك التلاميذ من ناحيتهم بذلوا مجهودات عظيمة في تذوق حلاوة العلم والمعرفة[4]، فقد كان التلاميذ من بني الأغواط يعظمون العلم والعلماء فقد ذكر الشيخ محمد السعيد الزاهري.

ذلك بقوله : أن الأغواط أرض طيبة ولم يرى كأبنائها في الذكاء وصفاء القريحة ولا في الشوق الشديد إلى العلم وليس قوم من الناس يحترمون العلم ويجلون العلماء مثل بني الأغواط..[5]

هذا ما ساعد الشيخ مبارك الميلي لتكوين هذا الوسط البهيج وكانت من بين التلاميذ من حصلت لهم ملكة التفكير والبحث وظهرت عليهم مخايل النبوغ ومثابرة على الدروس وكثرة

---

[1] أمينة مطعم ، المرجع السابق ، ص 154.

[2] دون إمضاء ، التعليم العربي بالأغواط والأستاذ مبارك الميلي وأنصاره ، المصدر السابق ، ص 417.

[3] مصطفى بن واز ، المرجع السابق ، ص 5.

[4] دون إمضاء ، التعليم العربي بالأغواط والأستاذ مبارك الميلي وأنصاره ، المصدر السابق ، ص 416

[5] محمد سعيد الزاهري ، المصدر السابق ، ص 51.

المطالعة[1] .

البعثات العلمية للشيخ مبارك الميلي بمدرسة الشبيبة:

اختيار الشيخ مبارك الميلي مجموعة من أنبغ تلاميذه الذين رأى فيهم المبادرة الطيبة والطموح القوي وتوسم فيهم رجال المستقبل فأرسلهم إلى الزيتونة لينهالوا من مشارب العلم والمعرفة[2]، وجههم الميلي إلى معهد الشيخ ابن باديس في قسنطينة[3] ، وطائفة وجههم مدارسهم الفرنسية في المدرسة الثعالبية في الجزائر العاصمة وكان تلاميذه مبارك في المدرسة الثعالبية في الجزائر، وكان تلامذة مبارك الميلي في المدرسة الثعالبية من أحسن تلاميذها وقد زار الشيخ ابن زكري مدير القسم العربي في الثعالبية الشيخ مبارك الميلي في فندقه بالجزائر فأثني على تلاميذه في المدرسة وأبدى إعجابه بهم [4]، وكان من بين تلاميذه الشيخ الميلي الذين أرسلهم للزيتونة تلميذه أحمد الشطة وهو أول من أرسله للبعثة ثم ألحق به رفقائه كلا من أبو بكر بلقاسم الحاج عيسى وأحمد بوزيد قصيبة وعمر ألنصيري[5]، هكذا تكونت نخبة مختارة من الشباب الطموح من تلاميذ مدرسة الشيخ مبارك الميلي الذين أخذوا من مناهل العلم والمعرفة ويعتبر تلاميذ بعثة الشيخ مبارك الميلي من الرجال الذين أسهموا في مواصلة بعث الإصلاح بمنطقة الأغواط بفضل تكوينهم الزيتوني[6].

يقول أحمد بن ذياب وصفا في تلاميذ الشيخ الميلي بتونس:" ولقينا ونحن تلاميذه بتونس أبناء الشيخ مبارك من يحي مدرسة الأغواط فكنا نشم في مخايلهم آيات جلال مربيهم، ونلمح في

---

[1] دون إمضاء ، التعليم العربي بالأغواط والأستاذ مبارك الميلي وأنصاره ، المرجع السابق ، ص 416.

[2] مقابلة شخصية مع عمر قصيبة ، يوم 29 جويلية 2019 ، بمنزله بالأغواط الساعة 18:00 ، صفته شقي أحمد بن بوزيد قصيبة تلميذ مبارك الميلي) .

[3] رابح تركي التعليم القومي والشخصية الوطنية الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1975.

[4] محمد علي دبوز المصدر السابق ، ص 260.

[5] مقابلة مع عمر قصيبة، مقابلة سابقة الذكر .

[6] محمد حسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر ، المرجع السابق ، ج 2، ص 175.

قرائحهم ويلمح آثار المقتدر الذي فوز عقولهم وصفى أذهانهم، فكنا نعجب بهم ونتمنى لو نهلنا من المنهل الذي نهلوا منه.[1]

ثالثا: النشاط الاجتماعي

3-1 دروس الوعظ والإرشاد بالمساجد:

استطاع الشيخ مبارك الميلي بحكمة أن ينشر ويبث ما يستطيع بثه كل مجدد ومصلح من الأفكار والمعتقدات والدين والأخلاق بين بني الأغواط، فأراد الشيخ الميلي أن يكون عمله ميداني ولعامة الناس فعمد على إلقاء خطب ودروس بالمساجد[2]، وكان أول مسجد درس به الشيخ مبارك الميلي مسجد الخليفة حولته فرنسا إلى كنيسة ثم استرجعه الخليفة جلول، فعمد على إلقاء الدروس للعوام وكان لأول عهده بهم يشعر أن المستمعين لا يفهم عنه كل ما يقصد فعمل مجددا على إجادة الإلقاء وتسهيل لغته حتى فاز فوزا عظيما بهم وكان له أثر في تهذيب العوام وتربيتهم وإصلاح عقائدهم[3]، وأكثر الميلي من الدّروس الليلية في الوعظ والإرشاد ويلقيها خمس ليالي في الأسبوع بمسجد العتيق في التفسير والحديث والفقه والسيرة والأخلاق فكان لها آثر بالغا في النفوس فقد اعتنى بتقوية الإيمان في القلوب وتطهيرها من أدران الشرك ،وقد كان يميل إلى دروس التفسير لاسيما تفسير السور المكية والمسائل الإعتقادية على الأخص سورة الأنعام وغيرها[4] .

وانهال على مجالس مبارك الميلي وخطبته فئات عديدة من مختلف طبقات السكان في الأغواط الطلبة والتجار والفقراء والأغنياء وكانت تتمتع حركته الإصلاحية بدعم المتحضرين كذلك فئة

[1] أحمد بن ذياب ، الأستاذ مبارك الميلي والصحافة)، في مجلة الأصالة ، ع 68-69، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، تلمسان ، الجزائر ، 2011 ، مج 21، ص 218

[2] أحمد بن بوزيد قصيبة ، المصدر السابق ، ص 207.

[3] أبو بكر بن بلقاسم الأغواطي ، المصدر السابق ، ص211.

[4] احمد بن بوزيد قصبية ، المصدر السابق ، ص 207.

الشباب الذين كانوا معارضين للمعتقدات المرابطية، التي كانت قائمة في أسرهم فقد كانوا من الأنصار المتحمسين لتقدم والتجديد فقد وجدت هذه الشبيبة المتحررة والتي لم تكن مثقفة مع ذلك في الحركة الإصلاحية لمبارك الميلي الحزب الذي يمكنها من الإعراب عن حماسها[1]، واعتمد الشيخ مبارك في دروسه على شرح الأربعين النووية ولعل اختياره لها لما كانت تحتويه من تنوع وشمول بمختلف جوانب الحياة ما يسمح له بمعالجة المشاكل التي يلاحظها في المجتمع الأغواطي وأعطى لدروسه بالمسجد جاذبية من أسلوبه البسيط وأمثلته المعاشة وعلمه الوافر[2].

وكان الشيخ مبارك يشرح أمراض المجتمع في دروسه فيبين آفاتها وويلاتها على أصحابه وكان يهاجم على الإلحاد الذي تبثه المدارس الاستعمارية والأحزاب السياسية، ويهاجم كل البدع والضلالات التي ألصقت بالدين وتجارب ضلالات الطرقيين كزردات القبور وحفلات مواليد المشايخ الطرقيين وغيرها من المفاسد[3]، وقد ركز مبارك الميلي على أهم نقطة أساسية في مهاجمته لظواهر الاجتماعية الجهل وتفشي الطرقية المنحرفة والذي كان الجهل سببا قويا في استخفافهم بالأحكام الشرعية[4] .

إذ كان جل الأغواطيين في ذلك الوقت مرتبطين بالطرق الصوفية خاصة وأن الأغواط تكثر فيها الط رق المتنافرة والمتناحرة فتطهرت عن طريق الشيخ مبارك الميلي عقائدهم وتفتحت عيونهم على الحق. فساعد الميلي بدروسه ونشاطه بين سكان المنطقة وبني الأغواط على

[1] علي مراد ، المرجع السابق، ص ص 105-109

[2] محمد محدادي وعباس كحول ، الوحدة الإصلاحية لمبارك الميلي في الأغواط ، التعليم الإصلاحي بمنطقة الأغواط 1926-1962... ، المرجع السابق ، (مداخلة مسجلة)

[3] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر وثورتها المباركة ، المصدر السابق ، ص 260.

[4] كمال جحش ، موقف مبارك الميلي من التصوف ، في مجلة المعيار ع 20 ، السنة 10، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 2018 ص 20.

تخليهم وطرحهم أراء الطرقية وانحرافها وتنكروا لمنكراتها وبفضل دروسه المجدية أيضا أنظم معظم شباب منطقة الأغواط لحركة الإصلاح الديني واليقظة[1].

وكانت هذه الدروس فيما بعد ثمرة وزبدة أبحاثه رسالة الشرك ومظاهرها، أمّا فيما يخص دروس الفقه فكان يعنى بتقرير حكمة مشروعية الأحكام وبيان مقاصد الشريعة والدين الإسلامي من التكاليف في العبادات وما فيها من المصالح العامة وسعادة المجتمع في المعاملات وتلقين كل مبادئ الدين الإسلامي وسفاسف الأمور المهمة التي يجهلونها[2].

3-2 الجمعية الخيرية بالأغواط :

أسس الشيخ مبارك الميلي جمعية خيرية بالأغواط أثناء تواجده في المنطقة تمثلت أهم مساعيها في مساعدة المحتاجين وتقديم يد العون للفقراء ومساعدة المساكين والمعوزين[3]، وتوفير كل متطلبات الحياة اللازمة لهم، فكان للشيخ مبارك الميلي قدم في ميدان البر والإحسان وتعزيز الروح الإنسانية بين سكان منطقة الأغواط[4].

رابعا: النشاط الثقافي

4-1النشاط الصحفي: اتسع للشيخ مبارك الميلي بمنطقة الأغواط أفاق التفكير في ميادين العمل فتصدى لكل ما أتي من علم ونشاط لتدريس والتعليم، ومن بين الميادين التي شارك فيها الشيخ مبارك الميلي الصحافة[5]، " إذ تعتبر الصحافة المكتوبة وسيلة من وسائل التعبير عن الفكر والنشاط الإصلاحي.

[1] بسام العسيلي ، جهاد الشعب الجزائري قادة الجزائر التاريخيون، وزارة الثقافة ، الجزائر ، دس، ص 673.

[2] احمد بن بوزيد قصبية ، المصدر السابق ، ص 207

[3] مبارك محمد الميلي ، رسالة الشرك ومظاهره، تحقيق أبي عبد الرحمن محمود، دار الراية الرياض ، 2001 ، ص15.

[4] أحمد بن بوزيد قصيبة ، المصدر السابق ، ص 207.

[5] الأخضر بالمبارك وآخرون ، المرجع السابق ، ص 118.

ويعطي الشيخ مبارك الميلي عن رأيه في الصحافة فيقول: «من أهم الخطط ومن أهم الوسائل التحقيق الغايات النظريات وتدخل بها الدعوات إنشاء الصحف السيارة التي تحفظ جيدا الأقوال وسديد الطالب في مسكنه وعلى التاجر في متجره ... وما وجدنا في فكرة وجدت لها صحف تعبر منها وتبشر وتدافع دونها ...» ، فهو الإصلاح الديني بأرض الجزائر حتى وجد التثقيف العقول ومجالا لإذكاء المشاعر وتهذيب الأحاسيس[1]، يعتبرها مجالا لخدمة الأمة وميدانا لتثقيف ، إذ لتصل إلى كل قارئ بنشر المعرفة ويجري وراء التحصيل [2].

اط تساعده على توسيع مجاله فاهتم بالصحافة من علمة إضاءات علمية إضاءات رأي الشيخ مبارك الميلي أن ظروف منطقة الأغواط تساعده خلال كتابته لمقالات في بعض الصحف، فكان عنصرا ايجابيا فيها وامتدت موجات إشعاعاته علمية إضاءة.

ومن بين الصحف التي كتب فيها الشيخ مبارك الميلي أثناء تواجده بالأغواط السنة والشريعة والشهاب وفيما يلى أهم مقالاته التي أبدى فيها الشيخ مبارك قلمه الغزير المقال بعنوان تاريخ الجزائر في القديم والحديث " في مجلة الشهاب العدد 102 من سنة 1927م والذي وضح فيه أن تاريخ الجزائر قبل الإسلام كان مبعثر في الكتب اليونانية واللاتينية وأن الفرنسيون اعتنوا بها لأنفسهم وأنه ما يزال مجهولا لدى الجزائريين[3].

إضافة لمقال بنفس المجلة بعنوان" الجمعية الخيرية بأفلوا" التي وضح فيها الخصوصية الجغرافية لمنطقة افلو بالأغواط وذكر مشروع المدرسة والجمعية الخيرية التي أسسها مجموعة

[1] أحمد بن ذياب ، الأستاذ مبارك الميلي والصحافة ، المصدر السابق، ص ص 97-98.

[2] أحمد شقار الثعالبي، الشيخ مبارك الميلي وتشخيص أمراض الأمة، مقالات من التاريخ الثقافي منطقة الأغواط .... المرجع السابق، ص 156.

[3] مبارك بن محمد الميلي ، (تاريخ الجزائر القديم والحديث) ، في مجلة الشهاب ، ع 106، 21 جويلية 1927م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2001 ، مج 3، ص 214.

من أعضاء المنطقة وما فيها من نشاطات اجتماعية[1]. والعديد من المقالات التي كتبها بالمنطقة في مختلف الجرائد والتي وصل عددها بمجلة الشهاب حوالي 15 مقال في مختلف مجالات الحياة .

وكان الشيخ مبارك الميلي أثناء تواجده بمنطقة الأغواط كثيرا ما يتردد على إخوانه بقسنطينة والجزائر أثناء الرحلات الصيفية يسعى معهم في تكوين هيئة للعلماء، إلى أن نضجت الفكرة فكان من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 م وأنتخب أمينا لماليتها[2]فتجده قد شارك بمقالاته ضمن صحف جمعية علماء المسلمين من بينها السنة بمقال معنون "ببيان وإرشاد" العدد 2 من سنة 1931 م ببين فيه أن جمعية علماء المسلمين مؤسسة شعبية تميل لتهذيب المجتمع في دائرة الدين والقانون وأن غايتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[3] كما كانت له مساهمات في جريدة الشريعة نذكر منها مقال "التقرير المالي لجمعية علماء المسلمين "العدد.... من سنة 1933 م يؤكد فيه أن مالية الجمعية قد سارت إلى الأمام، وأن السجل المالي لها تكون من جميع جهات الوطن الجزائر ويحرص على ضرورة تضاعف المالية بقوة الأمة أمام عظمة المشروع[4].

فكانت ظروف منطقة الأغواط مجالا خصبا لقلم الشيخ مبارك الميلي من خلال ما كان يلاحظه من مظاهر مختلفة بالمنطقة، كما بدأت تختمر في الأغواط أيضا فكرة رسالة الشرك ومظاهره

[1] مبارك بن محمد الميلي ، الجمعية الخيرية بأفلوا) ، في مجلة الشهاب ، دع ، سبتمبر 1932م ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 2002، مج 8، ص ص 514-517

[2] الأخضر بالمبارك وآخرون ، المرجع السابق ، ص 119

[3] مبارك بن محمد الميلي ، (بيان وإرشاد في مجلة السنة) ، ع 2 ، الاثنين 17 أفريل 1922م ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، 2003 ، ص 4

[4] مبارك بن محمد الميلي، (التقرير المالي، في مجلة الشريعة، ع 2، 24 جويلية 1933م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت دس، ص 4.

التي تعتبر ثورة ضمير ديني على الباطل والمنكرات[1]، ولم يقتصر عمل الشيخ مبارك الميلي على أبناء الأغواط فحسب بل امتد إلى أبناء الجزائر كلهم لأن اهتمامه لم ينحصر في الدّروس التي يلقيها على طلبته، فقد رأى أن الظروف تساعده على توسيع مجاله في الصحافة أكثر[2].

خامسا: موقف الإدارة الاستعمارية من النشاط الإصلاحي لمبارك الميلي بالأغواط

5-1 تضيق الإدارة الاستعمارية على نشاط مبارك الميلي بالأغواط:

سار مبارك الميلي على حل الأوضاع الجامدة بمنطقة الأغواط من أجل تغيير البنية الاجتماعية والخروج بالمسلمين من التخلف العقلي، واستطاع أن يوفق في الموازنة بين الصراع القبلي بين عائلة أولاد سالم وأولاد فرحات وأظهر تعاطفا وحيادا بين رؤساء القبائل الذين كانوا يحضون بامتيازات لكونهم خصوم لتيجانية [3]، وكما ذكرنا أن لأسرة فرحات لهم الفضل الكبير في حماية وبقاء مبارك بالمنطقة اعتبار نفوذها التي استعانت بالميلي على النيل من بعض الطرق الضاربة في المنطقة بدروسه الإصلاحية [4].

ونلاحظ أن حماية مبارك الميلي التي منحها إياه الخليفة جلول فرحات لم تدم طويلا وذلك لان حمايته لم تكن نتيجة لاختيار فكري أوديني إنما لطموح شخصي يهدف لتدعيم نفوذه في المنطقة[5].

ولّما اتضح للإدارة الفرنسية خطر حركة الشيخ الميلي بالأغواط التي تهدف لإحياء الثقافة العربية والإسلامية سارعت الإدارة بانجاز إجراءات ضد إصلاح مبارك الميلي[6].

---

[1] بالمبارك الأخضر وآخرون ، المرجع السابق ، ص 117.

[2] أحمد شقار الثعالبي ، المرجع السابق ، ص 156.

[3] علي مراد ، المرجع السابق ، ص 107.

[4] الأخضر بالمبارك وآخرون ، المرجع السابق ، ص 118.

[5] علي مراد ، المرجع السابق ، ص 162.

[6] عبد الكريم بوالصفصاف ، معجم اعلام الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين ، دار مداد بونيها سيتي براس المؤسسة الوطنية المطبعية الجزائر ، ص 110.

ففي عهد ميرانت مدير الشؤون الأهلية الذي كان من جملة ما خطط له هو ضغطه على الخليفة جلول التابع للإدارة والذي كان كثيرا ما يحذره من الميلي ويرغمه على قطع صلته به وأجبر على الوقوف ضده [1]، فقد كانت الإدارة الفرنسية تدعم لمواقف شيوخ الطرقية التيجانية وغيرها [2]، خاصة بعدما عزم زعماء الطرقية بكتابة عريضة شكوى ضد الشيخ مبارك الميلي سنة 1933 م أبلغوا فيها الإدارة على نشأة جمعية علماء المسلمين الجزائرية في منطقة الأغواط بزعامة الشيخ مبارك الميلي؛ الذي يسعى لنشر التعايش الدعائي من جراثيم الفساد مدعيا انه يحاول غرس الدين وتثقيف الأجيال الناشئة إلا انه يعمل على إفساد عقول الأطفال الذين يعشون في خطر التمرد ويأمل الطرقيون من الإدارة الفرنسية النظر في هذه المسالة.

2-5 مغادرة الشيخ مبارك منطقة الأغواط ورجوعه إلى ميلة:

وفي مقال للأستاذ حمزة بوكوشة يقول فيه ... أخبرني الشيخ أحمد عبد الرحمان رحمه الله أن الخليفة جلول عندما ذهب لراحة والاستجمام صيفا أوصاه بان يكتب لشيخ مبارك الميلي أن يتأخر بالعودة الى الأغواط بعد العطلة الصيفية وقال الخليفة وقال الخليفة لسيد عبد الرحمان أن لا تخبر مبارك الميلي أنني أخبرتك بذلك ودعه يحس بأنه منك لا مني، فما كان علي السيد عبد الرحمان إلا أن اخبر الميلي بحقيقة الأمر > >[3]، ولما أحس الميلي منهم ذلك عزم

[1] أحمد بن بوزيد قصيبة ، المصدر السابق ، ص 207.

[2] عبد الكريم بوالصفصاف ، جمعية علماء المسلمين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى ، دار مداد يونيفارسيتي الجزائر 2009، ص 110.

[3] حمزة بوكوشة ، الأستاذ مبارك الميلي عالم حجة ونضارة ، في مجلة الثقافة ، ع 88، السنة الخامسة عشر وزارة الثقافة 1985 ، ص ص120-121.

علي الرحيل رأفة على أثاره وأعماله الإصلاحية بالمنطقة[1]، فأثر الرحيل بعدما أيقن من استطاعة أبناء البلدة بالنهوض ه ومواصلة عمله الإصلاحي[2] .

المبحث الثالث : النشاط الإصلاحي أحمد شطة

أولا: نشأة الشيخ أحمد شطة وتكوينه:

ولد أحمد بن التهامي شطة سنة 1326هـ / 1908م[3] بمدينة الأغواط من أسرة متواضعة تنتسب إلى عرش أولاد نايل، وكانت سليلة علم فوالده كان رجل دين وإصلاح[4]، فأدخله إلى كتاب المؤدب الشيخ عبد الله بن الركزة حيث حفظ القرآن الكريم، ولما فتحت مدرسة الشبيبة العصرية بالأغواط سنة 1926 سارع إلى الانضمام إلى صفوفها ليتعلم اللغة العربية وعلومها على يد الشيخين الزاهري ثم مبارك الميلي. وقد أظهر ذكاء ونباهة لفتا انتباه مدرسه الذي لم

[1] أحمد بن بوزيد قصيبة ، المصدر السابق ص 207.

[2] دون إمضاء، من الأغواط إلى ميلة، في الصراط، ع 2 ، الاثنين 18 سبتمبر 1933، دار الغرب الإسلامي بروت 2003، ص 04.

[3] حسب أحد التقارير الفرنسية ولد سنة 1909.

[4] أبوه التهامي بن أحمد و أمه فطوم بنت بودرهم.

يتوان في أن يعرض على والده بأن يرسله إلى جامع الزيتونة ليواصل دراسته فلم يتردد الوالد الكريم رغم الفقر والفاقة ولو تطلب ذلك بيع البستان وكان كل ما يملك.[1]

وهكذا انتقل الشاب أحمد إلى تونس ليلتحق بجامع الزيتونة وكان ذلك في حوالي سنة 1929 وبقي في تونس ما يقارب سبع سنوات لم يزر فيها أهله بالأغواط، لأنه ربما لم يكن يشعر بالغربة إذ أن له أخت شقيقة كانت متزوجة بأحد أبناء عمها المسمى العيد وقد كان الشيخ أحمد حريصا على حضور الدروس وعدم مغادرة قاعات الدرس إلا بعد ساعات متأخرة. وظل هذا شأنه إلى أن تخرج حاملا شهادة التحصيل التي كانت تسمى شهادة التطويع[2]. وكرم من طرف باي تونس نفسه لأنه كان من الأوائل الذين نالوا هذه الشهادة في الصحراء الجزائرية الغربية[3].

ولما رجع إلى مسقط رأسه بعد تشبعه بالفكر النهضوي والإصلاحي من خلال احتكاكه بالطلبة العرب ومطالعته لبعض الجرائد العربية خاصة المصرية منها، قدم طلبا للحصول على رخصة التدريس من السلطات الاستعمارية، لكن دون جدوى[4].

الشيء الذي دفعه إلى إعطاء دروس خفية بمسكن قد اكتراه في زقاق الشراكة)، لأن الاستعمار كان يحارب اللغة العربية ويتابع معلميها خاصة أولئك الذين ليست لهم رخصة، كما كان يقدم دروسا في الفقه والسيرة النبوية والعقيدة في مسجد سيدي عبد القادر الكائن حاليا بشارع عبد الحميد بن باديس (زقاق الحجاج سابقا حتى تم بناء المدرسة وافتتاحها[5] إلى جانب رسالته التربوية كان الشيخ أحمد الشطة إماما خطيبا يلقي الدروس في المسجد الذي يحمل حاليا اسمه

---

[1] محمود علالي،درار عبد الرحمان، الحركة الإصلاحية ودور الشيخ أحمد ضطة فيها (1937–1958) ، مجلة درسات وأبحاث، المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 13، العدد 1، 2020، ص 820.

[2] محمد خير الدين، المصدر السابق، ص 76.

[3] محمد الحسن ، فضلاء من أعلام الإصلاح في الجزائر ، دار هومة الجزائر، 2000، ج3، ص 118

[4] رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، (1985)، ص 125

[5] أحمد شطة تحت الرقابة الفرنسية منذ 1946.

بشارع الاستقلال حاليا، وكانت معظم دروسه تدور حول الأخلاق الفاضلة ومحاربة الرذيلة والخرافة والشعوذة والبدعة، والدعوة إلى الاعتصام بحبل الله وتطهير القلوب وتقوية الإيمان، وحل بعض المسائل الفقهية التي كان يطرحها عليه المصلين فعرفت دروسه إقبالا شديدا للمواطنين.

3- البيئة الثقافية التي نشأ فيها الشيخ أحمد شطة:

كان التعليم في المنطقة قبل دخول الاستعمار الفرنسي حرا تشرف عليه في الغالب الزوايا والمدارس الحرة أو الكتاتيب، وكان السكان يرون التعليم عندهم من بين الاهتمامات الأولية بالرغم من فقرهم وضيق الحاجة لديهم. فقد كانوا يبعثون بأطفالهم إلى هذه الكتاتيب ليتعلموا القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم وذلك امتثالا لحث ديننا الكريم على التعليم.

كما ينطلق من تقاليد الجزائريين الراسخة في احترامهم للإنسان المتعلم وتقديرهم للعلم في حد ذاته وهذا ما يفسر لنا كثرة انتشار الكتاتيب والمساجد والزوايا عبر كافة أنحاء القطر الجزائري عامة والأغواط خاصة[1].

كما عرفت المنطقة حلول بعض المثقفين الجزائريين بالأغواط مثل: الشيخ عمر بن قدور[2] الذي نفي إلى الأغواط سنة 1914م مع بداية الحرب العالمية الأولى وبقي فيها إلى غاية 1920 تاريخ رجوعه إلى مدينة الجزائر، وكان من أدباء الجزائر المصلحين الذين تركوا أثرا بليغا في الحركة الإصلاحية بالمنطقة، فقد انتهز هذه الفرصة للدعوة والإصلاح والنهضة العلمية كما نجد من بين العلماء الذين سكنوا مدينة الأغواط سنين عديدة الشيخ محمد

[1] حسان صحبي، النظام التربوي الاستعماري في الجزائر 1830-1962، ط1، رياض العلوم للنشر والتوزيع الدار البيضاء الجزائر، 2005)، ص 39

[2] زهير إحدادن، أعلام الصحافة الجزائرية، دار إحدادن للنشر والتوزيع حسين داي الجزائر (2002)، ج 2، ص 12، 13

العاصمي[1]"، الذي حل بها أثناء الحرب العالمية الأولى وكان يلقي دروسا في اللغة العربية في منزله الخاص سنة 1915م، وقد أظهر تفان وإخلاص في أداء مهمته التربوية مما جعله يكسب مودة تلامذته فأحبوه و تعلقوا به كما وقد على مدينة الأغواط عدة شخصيات أخرى من منطقة وادي ميزاب مثل السيد دحمان بن السامي الذي حل سنة 1919، و السيد أيوب بن الحاج سعيد البليدي الذي حل بالمدينة منذ 1909، كما كان للشاعر الصحفي الأمين العمودي زيارة للأغواط في الثلاثينات و اتصل بثلة من أبنائها"[2].

وفي سنة 1920 تم تأسيس جمعية خيرية[3]، كان الهدف منها الوقوف إلى جانب الفقراء والمعوزين ومساعدتهم، وكان رئيس هذه الجمعية الخيرية هو السيد حسين بن هدروق ميموني وكاتبها السيد الحسين بن الحاج عيسى دهينة وأمين مالها السيد محمود بن عبد الله وأعضاؤها البارزين السادة: أحمد بن محمد بن عبد الرحمان ودهينة بن الحاج عيسى ودحمان بن السامي وغيرهم. وقد عرف هؤلاء بغيرتهم على مقومات هويتهم وعملوا على توحيد الشتات وتجاوز النعرات العروشية التي كان الاستعمار يذكيها، وبفضل هذه الجهود المبذولة تم إرساء اللبنات الأولى المدرسة عربية أصيلة عصرية.

وإثر زيارة تفقدية قام بها الشيخ محمد بالهاشمي بن إبراهيم[4] إلى فرع الزاوية القادرية بالأغواط، إذ أتيحت له الفرصة بأن يحتك بأبناء المنطقة خاصة المتعطشين للعلم منهم ولما لمس فيهم صدق نواياهم واستعدادهم للنهضة أخذ على نفسه عهدا بأن يساعدهم على بناء مدرسة

---

[1] الأديب محمد العاصمي (1882-1951) ولد بنواحي بلاد القبائل ودرس بزاوية الهامل، ثم انتقل إلى الأغواط أثناء الحرب العالمية الأولى، وبقي يدرس فيها وقتا طويلا و اختار زوجة له من الأغواط

[2] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة ط1، المطبعة العربية الجزائر 1389هـ / 1969م)، ج 3، ص 235.

[3] " Ali Merad, Le reformisme musulman en Algérie de 1925å 1940 Essai d'histoire religieuse et sociale, (2Ed. Les editions El Hikma 1986), pp175-180..

[4] إبراهيم ميامي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1999)، ص ص 221 226

عصرية، والتوثيق هذا الدين الذي قيد الشيخ به نفسه كتب وصية لابنه عبد العزيز[1] يحمله فيها مسؤولية إنشاء هذه المدرسة.

ولما تولى الشيخ عبد العزيز بن محمد بالهاشمي رئاسة الزاوية القادرية خلفا لوالده، كان من أولى أولوياته تنفيذ وصية أبيه فحل بالأغواط، واتصل بأعيان المدينة من تجار وعلماء ومشايخ وأطلعهم على وصية والده وطلب منهم، خاصة من أعضاء الجمعية الخيرية أن يقفوا إلى جانبه ويساعدوه في تحقيق وصية والده من جهة، وتحقيق حلم لطالما راود سكان الأغواط. على أن تكون نفقات هذا المشروع من ماله الخاص، فاستقبل هذا الطلب بحماس شديد وانطلقت الأشغال وكانت وتيرة العمل تسير بسرعة إلى أن تم بناء المدرسة سنة 1926، والتي كانت ثالث مدرسة يتم تأسيسها على المستوى الوطني بعد مدرستي قسنطينة وسيق.

و كان أول من حظي بشرف التعليم في هذه المدرسة هو الشيخ محمد السعيد الزاهري[2]، الذي التحق بها مباشرة بعد أن أنهى تعليمه في جامع الزيتونة بتونس ولبث بالأغواط ستة أشهر فقط، و رغم ذلك فقد أثر و تأثر بمدينة الأغواط وسكانها، و خلد ذلك في إحدى مقالاته بجريدة الشهاب بقوله: " إن الأغواط أرض طيبة صالحة للعمل، و لم أر كأبنائها في الذكاء وصفاء القريحة ولا في الشوق الشديد إلى العلم، وليس قوم من الناس يحترمون العلم و يجلون العلماء فيما رأيت مثل بني الأغواط[3] وقد أبدى كفاءة كبيرة في العلم والأدب مكنته من كسب حب

[1] عمار هلال مجلة الثقافة، العدد 101 ص 124. وكذلك عمار هلال الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي"، محلة 289-273 الثقافة، العدد 95 (10/11/1986)، ص ص 273-289.

[2] عمار هلال ، مجلة الثقافة، العدد 101، مرجع سابق، ص 118

[3] محمد السعيد الزاهري، إلى بني الأغواط لشاعر الجزائر الملي الكاتب الكبير"، الشباب العدد 103 الصحيفة 12 السنة الثالثة 1345 54.51 1346هـ/1927-1928)، ص ص 51-54.

تلاميذه وغادر الأغواط سنة 1926 بعد أن حل مكانه الشيخ مبارك الميلي الذي وقد على الأغواط في البداية كزائر و مراقب للجو السائد فيها سنة 1926[1].

و قد مكث الميلي في الأغواط سبع سنين إلى غاية 1933، حيث قاد نهضة حديثة كانت من أخصب مراحل حياته، كما اعتبرها الأغواطيون أنفسهم مرحلة العصر الذهبي في تاريخهم المعاصر و بدأ الميلي مهمته التعليمية التي لم تكن صعبة، لأن العقول كانت مهيأة لاستقبال هذا العالم الجليل، فعكف على تلقين العلوم التي سبق ودرسها الزاهري لتلاميذ المدرسة، وأضاف عليها مادة التاريخ كان الشيخ الميلي لا يمل من الدعوة إلى الخير، فبالإضافة إلى ما يقوم به في المدرسة نهارا تجده يكثر من الدروس الليلية: خمس ليال في الأسبوع بمسجد الأحلاف أو الخليفة [2]" أولا، ثم انتقل إلى مسجد العتيق[3]، يعظ العامة ويرشدهم ويلقي دروسا في الفقه والتفسير و السيرة والحديث والأخلاق فهذب النفوس وزاد الإقبال على حلقاته التي كان يركز فيها على دروس التفسير لأنها ألصق بالنفوس وأبلغ أثرا... ،

4- أثر تأسيس جمعية العلماء المسلمين على تبلور النشاط الإصلاحي في الأغواط:

كان تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم الخامس من ماي عام 1931 بنادي الترقي في العاصمة، بحضور اثنين و سبعين عالما من القطر الجزائري وطلبة العلم وغياب نحو خمسين عالما ليوا الدعوة كتابة بالقبول وعند تأسيس الجمعية كانت ترمي إلى خدمة القضايا الاجتماعية والثقافية كما يبدو في الفصل الرابع من القانون الأساسي القصد من هذه

[1] التعاون على الإصلاح الشيخ مبارك والشيخ عبد العزيز"، الشباب 248 247عدد 49، الصحيفة 109 (23) أوت 1926)، ص247-248.

[2] وهو المسجد الذي حولته فرنسا عند احتلال الأغواط إلى كنيسة، واشتراه الخليفة جلول وأرجعه مسجدا مرة ثانية، و هو يسمى الآن باسمه

[3] مسجد العتيق، وهو أقدم مسجد في الأغواط، أقدمت السلطات الفرنسية عند احتلال الأغواط على مصادرته وتحويله إلى اسطبل إلى أن تمكن السكان من استعادته مقابل دفع مبالغ مالية باهظة.

الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية، كالخمر والميسر والبطالة والجهل و كل ما يخزمه صريح الشرع و ينكره العقل، و تحجره القوانين الجاري بها العمل[1].

وهناك فصل آخر عبرت فيه الجمعية عن أهدافها حيث أوضحت أن للجمعية أن تؤسس شعبها في القطر، وأن تفتح نوادي ومكاتب للتعليم الابتدائي[2]، أما الشيخ محمد خير الدين وهو أحد قادة جمعية العلماء، فقد لخص سنة 1935 أهدافها فيما يلي: " إحياء الإسلام بإحياء القرآن والسنة وإحياء اللغة العربية وآدابها وإحياء التاريخ الإسلامي وآثار قادته[3]، بينما رأى أبو القاسم سعد الله أن للجمعية أهداف اجتماعية وثقافية.

و كذلك رؤية سياسية عبروا عنها على لسان عبد الحميد بن باديس الذي قال عام 1936 بأن الاستقلال حق طبيعي لكل شعب على الأرض[4]، والواقع أن ابن باديس لم يكتف بما سبق ذكره، و إنما رفع شعار الإسلام ديننا العربية لغتناء الجزائر وطننا)، وهكذا فإن العلماء كانوا يدركون و يؤكدون بأن النهضة العلمية و الدينية في الجزائر لا يمكن أن تكون بمعزل عن السياسة والعلم، ولا ينهض العلم والدين حق النهوض إلا إذا نهضت السياسة بجد.

و لما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 كان الشيخ مبارك الميلي من السباقين إلى الانضمام إليها، ورغم ذلك لم يتهاون في مهمته الإصلاحية، فقد استطاع أن يخصص وقتا للتأليف، وقد ساعده على ذلك جو الأغواط الهادئ، فألف كتابه تاريخ الجزائر

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1900–1930ء طه، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان)1992، ص433

[2] يد بن باديس جمعيه كيف يجب ان تكون و ما ينتظر منها . الشباب، ج 3 م 7 غرة ذي القعدة 1349هـ / مارس (1931)، نقلا عن كتاب آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ط1 من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية (1985) الجزء الرابع، ص 5655

[3] البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المطبعة الجزائرية الإسلامية قسنطينة 1354هـ / 1935م)، ص 160.

[4] أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1900–1930، ط3، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر (1983)، ج 2، ص – ص 457 460

في القديم والحديث الذي يعتبر أول كتاب ألف باللغة العربية حول تاريخ الجزائر، وقد أعجب به الأستاذ شكيب أرسلان حتى قال فيه: "وأما تاريخ الجزائر فوالله ما كتب أظن في الجزائر من يفري هذا الفري، ولقد أعجبت به كثيرا [1]، و بفضل تضافر الجهود أصبح للمدينة صدى نهضوي إصلاحي كبير قال عنه الشيخ توفيق المدني ما يلي: "و الأغواط اليوم مركز تجاري عظيم و يصنع بها الحرير والصوف بصفة متقنة، و بها نهضة إسلامية عربية يرجى لها كل خير و تعلق عليها الأمال [2].

5-دور الشيخ أحمد شطة في مواصلة رسالة الإصلاح:

يلعب قطاع التعليم دورا كبيرا في حياة الأمم المستقلة و الشعوب المستعمرة على حد سواء فبواسطة التعليم يمكن المحافظة على الشخصية الوطنية وإعداد الإنسان العالم تتغير فيه المعرفة تغيرا سريعا، فمن هنا أدركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أهميته وخصصت له حيزا هاما في برنامج عملها منذ 1931، حيث عرف التعليم الحر تطورا كبيرا بفضل الجهود التي بذلتها مدارسها و مساجدها، ويقول في ذلك الشيخ البشير الإبراهيمي: كان التعليم العربي الحر (عند تأسيس جمعية العلماء يدور في دائرة ضيقة من إمكاناته و أساليبه و كتبه فسعت الجمعية بما استطاعت من أسباب أن توسع دائرة الأمكنة بإحداث مكاتب حرة (مدارس) للتعليم المكتبي (المدرسي) للصغار، وتنظيم دروس الوعظ والإرشاد الديني في المساجد[3] .

وبناء على هذه الأهمية والوظائف المتعددة والمتشعبة التي تقوم بها المدرسة قرر زعماء الإصلاح بالأغواط، خاصة الشيخ أحمد شطة، ضرورة إنشاء مدرسة حرة تكون أجدى وأنفع

---

[1] نبيل أحمد حلاق ، العلامة الشيخ مبارك الميلي في الذكرى الستين، El mili Algeria أعلام بلادي صوت الجزائر htm[2007/04/09 4 2005/04/24)، ص 04.

[2] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر (دار المعارف، القاهرة، (1963)، ص152

[3] رابح تركي ، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته و جهوده في التربية والتعليم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (1970). ص367

على المواطنين من التعليم بالمسجد أو مقر نادي الأدب اللذين لم تكن تتوفر فيهما الشروط الكفيلة بنهضة تعليمية حقيقية وواسعة.

وحسب شهادة الشيخ محمد بن بودرهم جعمات تم تنظيم احتفال بنادي الأدب حضره الشيوخ أحمد شطة وأبوبكر الحاج عيسى وحسين زاهية وعطاء الله كزواي ومحمد جعمات ودرسوا فيه فكرة تأسيس المدرسة وبعد الاتفاق قصدوا الحاج يحيى فرحات لمنحهم بستانه كله، فامتنع في البداية ثم وافق فيما بعد، بعد إقناعه بأهمية المشروع الديني والعلمي ومباشرة تم تكوين جمعية المدرسة[1] برئاسة عبد المالك شهرة، وأمين المال بن عبد الله التاوتي، وعضوية السادة عمر بوضاية ومبارك بن عجيلة والحاج محمد مراد وغيرهم. رحمة الله عليهم أجمعين وعين الشيخ محمد جعمات كاتيا والحاج محمد مراد رئيسا الشعبة جمعية العلماء، وكان الشيخ أحمد شطة يشرف على المكتب المتتبع للأشغال.

ومباشرة بعد ذلك شرعت الجمعية في عقد الاجتماعات للمواطنين لحثهم على جمع التبرعات والتطوع في هذا المشروع الرائد، وقد كان للشيخ على شرفي البليدي دور في تحريك مشاعر المواطنين بخطابه الحماسي الذي ألقاه أثناء تجمع شعبي حضره جمع غفير من أهل المدينة والمتبرع و أخوه الخليفة فرحات الذي تبرع هو الآخر بقطعة أرضية أخرى بني عليها المسجد الذي يحمل اليوم اسم الشيخ أحمد شطة.

و بعد جمع التبرعات وضع حجر الأساس لبناء المدرسة يوم الثلاثاء 8 ماي 1945 وكان فوج الرجاء قد حضر حفلة وضع حجر أساس المدرسة ، وبمجرد الانتهاء من بناء الصور الخارجي للمدرسة حتى اتخذها الشيخ محمد بن عزوز مصلى لأداء صلاة التراويح، وتم بناء

[1] حسب الأرشيف الفرنسي فإنه تم تشكيل جمعية التربية والتعليم الاسلامي سنة 1945، وتم نشرها في الجريدة الرسمية الفرنسية تحت رقم 117 بتاريخ 19/05/1946

المدرسة وفق طراز عربي أصيل[1]، و فتحت أبوابها في بداية السنة الدراسية 1948/1949، وقد حضر الشيخ البشير الإبراهيمي الفعاليات الاحتفال.

6-نظام التعليم ومناهجه في مدرسة التربية بالأغواط المدرسة الاصلاحية بالأغواط:

1.6. المعلمون:

عينت جمعية العلماء عند شروعها في النشاط التعليمي معلمين من بين الطلبة الحاصلين على دراسات كافية تؤهلهم لممارسة مهنة التعليم دون اشتراط الشهادات[2]"، إلا أن ذلك لم يكن ينطبق على مدرسة الأغواط التي عين فيها الشيخ أحمد شطة مديرا و مدرسا في أن واحد لحصوله على شهادة التطويع من جامع الزيتونة بتونس وتمتعه بشخصية قوية وحسن الأخلاق وقد كان معه في هيئة التدريس الشيخ حسين زاهية، ثم انضم إليهما الشيخ عطاء الله كزواي والتحق بهم فيما بعد الشيخ أبوبكر الحاج عيسى الذي كان من قبل يشغل منصب كاتب عام الجمعية العلماء المسلمين بمقرها المركزي بالعاصمة من سنة 1951 1946.

ولما كثر الإقبال على المدرسة أضيفت أفواج نظامية أخرى"[3] أسندت إلى المعلمتين خديجة بنت الشيخ الصادق حرم الأستاذ محمد يوسفي المحامي، والزهرة بن عية ثم أختها جميلة بن عبة حرم الشاعر الجزائري محمد أبي القاسم خمار، وكلهن من خريجات المدرسة ولما انسحب الشيخ عطاء الله كرواي من المدرسة حل محله الشيخ محمد الفيلالي، وهناك رجل آخر ارتبطت حياته بالمدرسة منذ عهد الشيخ مبارك الميلي، إلى غاية تأسيس هذه المدرسة وحتى تقاعده وهو المرحوم الباي غضبان الذي عمل قيما بها.

و أما فيما يتعلق باختصاصات و واجبات المعلمين فيمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- المعلم مسؤول عن تنفيذ القانون وتثبيت النظام في فصله

[1] قدمت جمعية التربية والتعليم الاسلامي بالأغواط طلب إلى السلطات الفرنسية بفتح أقسام للتعليم الاسلامي سنة 1946.

[2] رابح تركي التعليم القومي..... المرجع السابق، ص 218

[3] كان عدد تلاميذ المدرسة يتراوح سنة 1951 بين 600 و 700 منهم 150 تلميذة في تقرير آخر ذكر 54 تلميذة فقط).

– مسؤول عن تطبيق المنهج، كما هو مسؤول عن الحراسة المنظمة.

– مسؤول للجنة التعليم والجمعية المحلية بواسطة المدير.

– مسؤول عن المناداة اليومية، وإبلاغ كل الملاحظات للمدير.

– يرافق تلاميذه عند الخروج من المدرسة إلى الباب ويصطحبهم في الفسحات المدرسية، ويصطحب معه تلاميذ غيره للضرورة.

يستخلص من تلاميذه ما يقدمه للمدير، كما عليه أن يقوم بجمع الاشتراكات، واستخلاص أجرة التعليم بالتناوب، أو مع المدير والمعلمين، وهذا كله في المدارس التي ما تزال بدائية ولم تنظم جمعيتها ماليتها.

– يقوم بدرس الوعظ وبالجمعة (صلاة الجمعة) إذا توجهت عليه بوجه ما ويتعين عليه تعليم الكبار إذا كان وحده، وفي كل حالة، فإنه يتقاضى على هذا النوع من التعليم مرتبا قدره 2000 فرنك، إن لم يتجاوز عدد تلاميذه العشرون، و إلا كان على الجمعية المحلية أن تتفاهم معه في زيادة معقولة.

–يشارك المدير في وضع برامج الاختبارات و للمدير الفصل في النهاية.

– يمنع من عمل أي شيء في المدرسة أو الفصل، غير ما يتعلق بالتعليم، أو ما يطلب منه بواسطة المدير المسؤول.

–لا يتصل بأحد في شؤون التعليم والمدرسة إلا بالمدير واللجنة[1]، كما عينت الجمعية مفتشين على مدارسها وأولت أهمية كبيرة لهذه المهمة حتى تكون نتائج مدارسها في المستوى المطلوب وتنافس المدارس الفرنسية.

[1] رابح تركي التعليم القومي .... المرجع السابق، ص 308،309

ويلاحظ أن هذه الاختصاصات والواجبات أظهرت مدى العناية التي أعطتها الجمعية للمعلم الذي أصبح مجبرا على احترامها و حسب شهادة التلاميذ الذين مروا بالمدرسة، فإن المعلمين كانوا يتصفون بأخلاق مثالية تجلت معالمها في كثير من سلوكاتهم داخل المؤسسة التعليمية وخارجها، و من ذلك أنهم كانوا يبادرون الناس بالتحية ويرتدون الزي العربي الإسلامي، ويخلوا حديثهم من كل عبارات تتم عن الشتم والإهانة للغير، كما أنهم لم يكونوا يترددون على المقاهي أو يجلسون في الطرقات و الشوارع، وكان المعلم مقدسا و له مكانة مميزة، و يعتقد فيه التلاميذ قدوة لهم في كل شيء .

2.6 النظام التعليمي والبرامج:

تتكون المرحلة الابتدائية في مدرسة الأغواط كما هو الحال في كل مدارس جمعية العلماء من ست سنوات، وتقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

-القسم التحضيري ويتكون من سنتين وهو خاص بالمتمدرسين الجدد. وكان تحت إشراف كل من الشيخ عطاء الله كزواي الذي يعلمهم في السنة الأولى مبادئ الكتابة والقراءة أما السنة الثانية من التعليم التحضيري فكان يشرف عليها الشيخ حسين أحمد بن قويدر ويعلمهم مبادئ القواعد والاملاء والمحفوظات والأناشيد.

-القسم الابتدائي ويتكون من سنتين و يشرف على السنة الأولى منه الشيخ الحاج عيسى أبوبكر، و يعلمهم الأدب العربي والقواعد و المفردات و التاريخ و السيرة النبوية أما السنة الثانية منه فكانت تحت إشراف الشيخ أحمد شطة، ويعلمهم الأدب العربي و المطالعة الأدبية وعلم الاجتماع و المحادثة والمواعظ.

-القسم المتوسط ويتكون من سنتين، وكان التلميذ يلجأ إلى مزاولته بمدارس الجمعية في الشمال. [1].

[1] رابح تركي التعليم القومي .... المرجع السابق، ص ص 277-280

وكان التعليم بالمدرسة موجها لصنفين من الطلبة طلاب القسم العربي الذين يزاولون دراستهم باللغة العربية والمشكلون أساسا لطلاب المدرسة المنتظمين بها، وكان توقيتهم على النحو التالي: في الصباح من الساعة الثامنة إلى الساعة العاشرة. أما في المساء من الساعة الثانية بعد الزوال إلى الساعة الرابعة مساء.

-وهؤلاء كان برنامجهم أو منهاجهم التربوي يقوم على ثلاثة أركان وهي تربية إسلامية متينة منظمة – ثقافة عربية ابتدائية مبادئ أولية للمعارف العلمية. أما فيما يخص المواد المقررة فهي التعليم الديني والخلقي القراءة لغة عربية وتتضمن النحو، المحادثة الإملاء المحفوظات الإنشاء، الخط العربي. حساب وهندسة تاريخ وجغرافيا، أشغال يدوية. تمارين رياضية دروس المشاهدة، خصائص أشياء وعلوم طبيعية

2- الطلاب المنتظمون في المدارس الفرنسية (العمومية) الذين خصصت لهم أوقات يزاولون فيها دروسهم العربية على النحو التالي: صباحا من الساعة السادسة والنصف إلى الساعة السابعة والنصف. أما في المساء فمن الساعة الخامسة إلى الساعة

السادسة، ويقي هذا النظام معمولا به حتى السنة الدراسية 1957/1958 وأما برنامجهم فقد كان خاصا يحتوي على المواد التالية: النحو العربي محادثة، مطالعة تحفيظ القرآن تربية دينية تاريخ وإملاء[1]، ومن خلال هذا يتبين لنا مدى مسايرة مدارس الجمعية للمناهج الحديثة التي لم تكن تدرس في الكتاتيب والمدارس التقليدية.

ولم تكن الجمعية تعارض التعليم الفرنسي بل نجدها قد شجعت تعلم مبادئ اللغة الفرنسية في مدارسها، ويقول الشيخ البشير الإبراهيمي في هذا الصدد .... ما كنا في يوم من الأيام حربا للتعليم الفرنسي على تفاهته بل نحض عليه، وتعده بابا من أبواب الثقافة وسلاحا من أسلحة

[1] Leila Aslaoui, Les années rouges, (édition casbah, Alger, 2000).pp.61,62.

الحياة[1]، وإتقان اللغة الفرنسية من بعض معلمي مدرسة التربية بالأغواط، مثل الشيخ أبوبكر الحاج عيسى لدليل على الموقف الإيجابي من التعليم الفرنسي. كما حرص أنصار الإصلاح كذلك على تعليم المرأة التي لم يكن يسمح لها بأخذ نصيبها من المعرفة في الزوايا والكتاتيب القرآنية.

و قد استطاعت مدارس الجمعية تكوين جيل يحمل علما قليلا، لكنه مزودا بفكر صحيح وعقيدة قومية سليمة ونظرة إلى الحياة جديدة[2]، ولعله من الأهمية بمكان أن تسوق ما أورده شارل روبير أجيرون الذي قال: أن مدارس الجمعية قد كونت على الأقل شباب يجيد القراءة والكتابة والخطاب باللغة العربية الحديثة، ويؤمن بالمبادئ الوطنية السامية[3].

7-وسائل نشر الدعوة الإصلاحية في الأغواط

1.7. تأسيس نادي الأدب بالأغواط

تأسس نادي الأدب المدينة الأغواط في عام 1937 من طرف أنصار جمعية العلماء والنهضة العلمية، كان تحت رئاسة عبد المالك شهرة وكان مقره موجودا في نهاية شارع مسجد النور (مسجد التاوني)، ومن هنا يمكن أن نقول أن الأغواط كانت من بين المدن السباقة إلى تأسيس مثل هذه المراكز الثقافية

يعتبر النادي الإصلاحي بالأغواط همزة وصل بين المدرسة و المسجد، خاصة بعد مغادرة الشيخ الميلي الأغواط، فقد كان النادي يقوم بعدة مهام مثل عقد مجالس للتوعية و التوجيه الإصلاحي، وتنظيم المحاضرات والدروس و استقبال بعض الشخصيات مثل يحيى خليفة

[1] رابح تركي التعليم القومي .... المرجع السابق، ص 154

[2] رابح تركي ابن باديس فلسفته ..... المرجع السابق، ص 364.

[3] Charles Robert Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine 1871-1954, (Paris, 1979),12,p562

أستاذ بالعاصمة و من أبرز منشطي المحاضرات الشيخين أبا بكر الحاج عيسى و أحمد قصيبة و السيد عبد القادر ميموني هدروق، والشيخ دهينة زقنيني[1] الذي كان يدرس في هذا النادي رسالة أبي زيد القيرواني، وقد كانت مواضيع الندوات و المحاضرات متنوعة تركز أساساً على العقيدة ومحاربة البدع والخرافات.

ولم تكن السلطات الاستعمارية أن تسكت على ذلك، فكثيرا ما أخضعت رجال جمعية العلماء للتحريات والتحقيقات والإنذارات القاضية بمنعهم من التدريس تحت طائلة العقوبة[2]".

2.7. المسجد:

أولى الإصلاحيين اهتماما بالغا إلى المسجد لما يقوم به من وظائف نبيلة، فقد بين الشيخ عبد الحميد بن باديس أهمية المسجد قائلا: "إذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم، فإن العامة التي ترتاد المساجد تكون من العلم على حظ وافر وتتكون منها طبقة مثقفة الفكر صحيحة العقيدة وبصيرة بالدين، فتكمن هي في نفوسها ولا تهمل وقد عرفت العلم وذاقت حلاوته تعلم أبنائها، وهكذا ينشر العلم في الأمة ويكثر طلابه من أبنائها[3].

و لم يتوقف العلماء عند هذا الحد فقد اتخذوا من المسجد مكانا لعقد اجتماعاتهم اليومية. علاوة على أداء شعائر الصلاة، ولما كان شهر رمضان أفضل الشهور الهجرية، حرص زعماء الإصلاح في الأغواط على إحيائه بدروس الوعظ والإرشاد التي أعطت طريقة جديدة في فهم الدين ودوره في الحياة، وذلك بتوزيع مدرسين في كل مسجد من مساجد الأغواط وإلى جانب

[1] دهينة بن مخلوف زقنيني (1881-1955) درس بمعهد ابن باديس بقسنطينة، كان مختصا في الشريعة و في الفقه الإسلامي و في الميراث. كما كان كل أسبوع ينظم لقاء مع أهل البادية من أجل توعيتهم بأمور دينهم ن قلا عن وثيقة بالمركز الثقافي الإسلامي أعدها السيدين عبد القادر نوار و مبروك زقنيني.

[2] الحاج محمد جعمات، المصدر السابق

[3] وزارة الشؤون الدينية، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ط1، (دار البعث للطباعة والنشر الجزائر 1406هـ / 1985م)، ج 4، ص ص 94 97

الدروس الدينية كان الوعاظ يتطرقون إلى تاريخ السيرة النبوية والصحابة ويحاولون توظيف ذلك في صالح الأمة الجزائرية من خلال شحذ الهمم والاعتزاز بالانتماء الحضاري.

3.7 الصحافة:

اهتمت جمعية العلماء المسلمين بالجانب الصحفي، شأنها شأن الحركات الوطنية والجمعيات الدينية في البلاد العربية. فقد أصدر ابن باديس جريدة المنتقد سنة 1925 ولم يظهر منها سوى ثمانية عشر عددا قبل أن تمنعها السلطات الفرنسية من الصدور، وبعد هذا المنع أنشأ ابن باديس في نفس السنة أي 1925 الشهاب التي كانت أكبر صحف الحركة الإصلاحية إلى جانب البصائر و لاديفونس La defense التي كان يصدرها الأمين

ولم يتوقف العلماء عند هذا الحد فقد اتخذوا من المسجد مكانا لعقد اجتماعاتهم اليومية، علاوة على أداء شعائر الصلاة، ولما كان شهر رمضان أفضل الشهور الهجرية، حرص زعماء الإصلاح في الأغواط على إحيائه بدروس الوعظ والإرشاد التي أعطت طريقة جديدة في فهم الدين ودوره في الحياة، وذلك بتوزيع مدرسين في كل مسجد من مساجد الأغواط وإلى جانب الدروس الدينية كان الوعاظ يتطرقون إلى تاريخ السيرة النبوية والصحابة ويحاولون توظيف ذلك في صالح الأمة الجزائرية من خلال شحذ الهمم والاعتزاز بالانتماء الحضاري.

3.7 الصحافة:

اهتمت جمعية العلماء المسلمين بالجانب الصحفي، شأنها شأن الحركات الوطنية والجمعيات الدينية في البلاد العربية. فقد أصدر ابن باديس جريدة المنتقد سنة 1925 ولم يظهر منها سوى ثمانية عشر عددا قبل أن تمنعها السلطات الفرنسية من الصدور، وبعد هذا المنع أنشأ ابن باديس في نفس السنة أي 1925 الشهاب التي كانت أكبر صحف الحركة الإصلاحية إلى جانب البصائر و لاديفونس La defense التي كان يصدرها الأمين العمودي، وجريدة الإصلاح للطيب العقبي.

على الرغم من الرقابة المباشرة التي فرضتها الشرطة الفرنسية ومصالح البريد على الصحافة الإصلاحية، فإن هذه الأخيرة كانت توزع في الأغواط وتلقى إقبالا خاصة من طرف أعضاء النادي الأدبي ومدرسة التربية والتعليم الإسلامي، وفي مقدمتهم الشيخ أحمد شطة و الشيخ أحمد بن أبوزيد قصيبة و الشيخ أبوبكر الحاج عيسى والسيد عبد القادر بلقاسمي (المكتبي). فقد كان هذا الأخير صاحب مكتبة ووزاقة فتصله الجرائد ويبيعها.

و من المهم أن نقول أن الجرائد والمجلات الناطقة باسم الجمعية وباسم أعضائها قد تعطلت أثناء الحرب العالمية الثانية و يعود ذلك إلى رفض قادة الجمعية تأييد فرنسا في حربها ضد ألمانيا، و لم تظهر إلى الوجود سوى جريدة الإصلاح التي أعاد إصدارها الشيخ الطيب العقبي بعد انسحابه من الجمعية سنة 1938، وجريدة الوفاق التي كان يصدرها الشيخ محمد سعيد الزاهري. [1] ..

و بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وعودة نشاط الجمعية، لم يبخل زعماء الإصلاح بالأغواط بمساهماتهم في جريدة البصائر (السلسلة الثانية (1946/1956)، حيث كتبوا عدة مقالات كمندوبين للجمعية أو مساهمات شخصية، خاصة تلك التي كتبها الشيخان قصيبة أحمد والحاج عيسى أبوبكر.

4.7 الكشافة الإسلامية:

تركت العروض الاستفزازية للكشافة الفرنسية أثناء احتفالات الذكرى المئوية لاحتلال الجزائر سنة 1930. آثارا سيئة لدى الجزائريين الذين لم يكتفوا بتأسيس جمعية العلماء المسلمين

[1] أحمد الخطيب جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر (المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، (1985)، ص 230

الجزائريين بل راحوا يسعون إلى إنشاء حركة كشفية مستقلة لهم. و فعلا أنشأ رائد الحركة الكشفية الجزائرية محمد بوراس أول فوج للكشافة الجزائرية سنة 1930 في مدينة ملیانة أطلق عليه اسم الخلود

ولأن الكشافة رمز من رموز النضال والتربية والأخلاق قام مجموعة من المواطنين الغيورين على الوطن بتأسيس فوج الرجاء بالأغواط سنة 1939، و من بين المؤسسين تذكر السادة عبد المالك بوعامر و ميموني هدروق و عيمي بوعامر وعلال مخنث وآخرون. وكان هذا الفوج هو ثالث فوج كشفي على مستوى الوطن حسب شهادة السيد عبد القادر نوار[1] أحد أعمدة الكشافة الإسلامية بالأغواط.

وقد نشأت وترعرعت الكشافة الإسلامية الجزائرية في أحضان الحركة الإصلاحية العامة التي تشرف عليها وتوجهها جمعية العلماء المسلمين، وما يثبت ذلك رئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس شرفيا أول مؤتمر للأفواج الكشفية، ب عد توحيدها في شهر جويلية 1939، واعتمد مؤتمر الحراش نفس شعار جمعية العلماء (الإسلام ديننا العربية لغتنا الجزائر وطننا)[2]. وقد كان الشيخ أحمد قصيبة ثم الشيخ حسين زاهية من أول المرشدين المحليين لفوج الرجاء وعقدت عدة مخيمات ساهمت إلى حد كبير في تربية الشباب تربية إسلامية، وتحفيظه أناشيد من تأليف شعراء الحركة الوطنية والحركة الإصلاحية الجزائرية.

أمثال الشاعر محمد العيد آل خليفة ومفدي زكرياء وغيرهم و يبدو أن فوج الرجاء لم يكن منغلقا على نفسه بدليل أنه كان يحضر أغلب المناسبات الوطنية والمخيمات الكشفية، كما أنه كان يحتك بزعماء الحركة الكشفية في الجزائر منها زيارة قائد الكشافة محمد بوراس ونائبه

[1] عبد القادر نوار المدعو القايد المولود بتاريخ 28 أوت 1933 بالأغواط. عايش جل أجيال الكشافة فوج الرجاء بالأغواط منذ سنة 1943 إلى غاية 1962، مقابلة شخصية معه في منزله بتاريخ 20 أفريل 2007 على الساعة الخامسة مساء (17) سا).

[2] أحمد الخطيب، نفس المرجع، ص 230.

عمر لاغا إلى مدينة الأغواط في 23 جانفي 1940. كما كان يتلقى نسخا عديدة من جريدة الكشاف التي كانت تصدر بقسنطينة، و نسخ من نشرية الكشافة الإسلامية الجزائرية Bulletin Algériens des Scouts Musulmans[1]

8-موقف زعماء الإصلاح في الأغواط من الثورة التحريرية:

إن الحديث عن موقف التشكيلات السياسية والجمعيات الوطنية من ثورة نوفمبر 1954 يعرف تضاريا في الآراء عند بعض المؤرخين ورجال الثورة أنفسهم خصوصا عندما يتعلق الأمر بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين فيناء على رأي محمد العربي الزبيري فإن معظم أعضاء الجمعية بدأوا يؤمنون بضرورة الكفاح المسلح فقط عندما اقترب الموت من الأبواب، وعندما تأكدوا من أن الثوار عازمون على الضرب إذا ما اقتضى الحال ليمنعوا أيا كان من عرقلة المسيرة الطبيعية للثورة[2]. أما محمد حربي فيرى أن انضمام العلماء إلى الثورة كان بطيئا ولم يتضح إلا بعد فترة من التردد والتحفظ [3].

و مهما اختلفت الآراء فإن جمعية العلماء أعلنت بوضوح عن تأييدها للثورة منذ الشرارة الأولى وبدون تحفظ وهذا ما نلمسه من دعوة الشيخ العربي التبسي إلى الجهاد أنهم رجال تململوا وتحركوا و دبت فيهم روح الحياة الحرة الجامحة التي تحطم أمامها.

[1] عبد القادر نوار المعروف بالقايد، مقابلة شخصية.

[2] محمد العربي زبيري الثورة الجزائرية في عامها الأول (المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر (1984)، ص 191

[3] Mohamed Harbi, Le F.LN: Mirage et Réalité des origines à la prise du pouvoir1945-1962(Edition Ja:Paris 1980)p410.

كل معترض مهما كان قويا وتقدموا إلى الأمام يخوضون معركة الحياة، وقد حملوا أرواحهم فوق أيديهم فيزحفون إلى الأمام ولا يتقهقرون أبدا إلى الخلف[1]".

أما عن موقف زعماء الإصلاح بالأغواط من الثورة، فنلاحظه من خلال طبيعة الدروس التي كانوا يلقونها سواء بالمساجد أو بمدرسة التربية، حيث وصفتها التقارير الفرنسية بالخطيرة والحاثة على التطلع إلى الحرية والجهاد في سبيل الله، وهذا ما جعل السلطات الفرنسية تراقب نشاطات شيوخ المدرسة، خاصة الشيخ أحمد شطة الذي وصفته بالمتعصب والعنصري والخطير المشحون بفكر العنف الذي استلهمه من حزب الشعب الجزائري وهو يوازي في نشاطاته محمد بن سالم الذي بدأ في إنشاء خلايا الثورة منذ 1955، حيث عين الشيخ أحمد شطة مرشدا لها في الشريعة والسياسة.

كما قدمت مدرسة التربية بالأغواط أكثر من ثلاثين شهيدا يأتي في مقدمتهم مدير المدرسة الشيخ أحمد شطة الذي اعتقل يوم 15 أوت 1958 رفقة كل من الشيخين الحاج عيسى أبوبكر وحسين الزاهية حيث سلطت عليهم أبشع أنواع العذاب بعدما تأكدت من نشاطهم السياسي في الثورة، وقد تعرض الشيخ أحمد الشطة إلى التعذيب أكثر مما أدى إلى استشهاده، ولا يعرف إلى حد الآن مكان قبره، كما قامت السلطات الفرنسية بغلق المدرسة و نفي باقي معلميها خارج الأغواط، مثل الشيخ أبوبكر و الشيخ زاهية ولم تفتح مدرسة التربية بالأغواط الا بعد الاستقلال حيث أصبحت تابعة إلى وزارة التربية والتعليم و سميت باسم الشهيد أحمد شطة تكريما وتخليدا لنضاله.

[1] البصائر، العدد 1955 /18/02

الخاتمة

الخاتمة

شكّل جامع الزيتونة بتونس أحد المنابع العلمية الكبرى التي أثّرت بعمق في مسار الحركة الإصلاحية في الجزائر، لاسيما في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. فقد لعب هذا الجامع دورًا محوريًا في تكوين نخبة من العلماء الجزائريين الذين نهلوا من علومه الشرعية واللغوية والفكرية، ثم عادوا إلى الجزائر محمّلين بروح التجديد والإصلاح، وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ مبارك الميلي وغيرهم من أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

لقد أسهم جامع الزيتونة في غرس مبادئ الاعتدال والتنوير، وربط الدين بالهوية الوطنية، وتحصين المجتمع الجزائري ثقافيًا وروحيًا في وجه الاستعمار الفرنسي. وقد تجلّى أثره بشكل واضح في الخطاب الإصلاحي الذي تبنّته الحركة الإصلاحية، والذي جمع بين الأصالة والمعاصرة، ودعا إلى إحياء مقومات الأمة من خلال التربية والتعليم ومحاربة البدع والخرافات والجمود الفكري.

إن دراسة أثر جامع الزيتونة لا تبرز فقط دوره التعليمي، بل تكشف أيضًا عن عمق الروابط الفكرية والثقافية بين الجزائر وتونس، وعن الدور الريادي الذي لعبته المؤسسات الدينية في مقاومة الاستعمار عبر ترسيخ وعي حضاري يربط بين الدين، والوطن، والعلم.

يتضح جليا من خلال ما سبق التطرق إليه أن الأغواط كانت مسرحا لنشاط دؤوب في المجال التربوي والإصلاحي، لما تميزت به من مظاهر ثقافية ومبادرات إصلاحية مبكرة التي بثت في المجتمع الاغواطي فكرة الإصلاح والنهضة الحديثة. فاستقبلت بذلك العديد من علماء النهضة من بينهم مبارك الميلي الذي طال به الأمد في المنطقة، فباستقراره دعا الى العلم والتعلم وتحين كل فرصة كان يجالس بها سكان المنطقة لبث روح اليقظة وبعث الأفكار الإصلاحية، من خلال تشكيلة لمدرسة الشبيبة التي سعي من خلالها في تعليم أبناء المنطقة مبادئ القران والكتابة وامتد تعليمه الى دروس النحو والصرف والفقه الإسلامي ودروس تاريخ الجزائر والتي تميزت بالطراز العصري سواء على مستوى النظام الهيكلي أو على مستوى

التكوين العلمي ،فشكلت دروسه ونظامه تعليم عصري وتغير مناهج التعليم التقليدي بالمنطقة بتشكيله لبعثات علمية لجامع الزيتونة فكون بذلك جيلا صالحا فتح لهم أفاق وطموحات مستقبلية، الى جانب ذلك حافظت دروس الوعظ والإرشاد التي كان يقدمها لشرائح المجتمع على النسيج الاجتماعي بينهم ، كما ساعدته ظروف المنطقة على الإبحار بقلمه الغزير في مختلف صفحات المجلات فاختمر نشاطه الصحفي من خلال القضايا التي كان يلاحظها في بيئة المنطقة وبذلك تكون مرحلة استقرار مبارك الميلي بالأغواط من أخصب مراحل حياته وجهوده كما يسميها بني الاغواط العصر الذهبي للأغواط ، والتي ترك فيها فضل لا يزال يذكره أهل المنطقة إذ خلف أثار جليلة لم تتوقف بمغادرته من الاغواط فقد استمرت بتلاميذه الذين رفعوا لواء شيخهم وحذوا حذوه وارتبطت أسماءهم بجمعية علماء المسلمين، لذا فان مبارك الميلي المصلح هو الذي وضع اللبنات الأولى لنواة الحركة الإصلاحية بالأغواط خاصة والجنوب عامة.

يتضح جليا من خلال ما سبق التطرق إليه أن الأغواط كانت مسرحا لنشاط دؤوب في المجال التربوي والإصلاحي، لما تميزت به من مظاهر ثقافية ومبادرات إصلاحية مبكرة التي بثت في المجتمع الاغواطي فكرة الإصلاح والنهضة الحديثة. فاستقبلت بذلك العديد من علماء النهضة من بينهم مبارك الميلي الذي طال به الأمد في المنطقة، فباستقراره دعا الى العلم والتعلم وتحين كل فرصة كان يجالس بها سكان المنطقة لبث روح اليقظة وبعث الأفكار الإصلاحية، من خلال تشكيلة لمدرسة الشبيبة التي سعي من خلالها في تعليم أبناء المنطقة مبادئ القران والكتابة وامتد تعليمه الى دروس النحو والصرف والفقه الإسلامي ودروس تاريخ الجزائر والتي تميزت بالطراز العصري سواء على مستوى النظام الهيكلي أو على مستوى التكوين العلمي ،فشكلت دروسه ونظامه تعليم عصري وتغير مناهج التعليم التقليدي بالمنطقة بتشكيله لبعثات علمية لجامع الزيتونة فكون بذلك جيلا صالحا فتح لهم أفاق وطموحات مستقبلية، الى جانب ذلك حافظت دروس الوعظ والإرشاد التي كان يقدمها لشرائح المجتمع على النسيج الاجتماعي

بينهم ، كما ساعدته ظروف المنطقة على الإبحار بقلمه الغزير في مختلف صفحات المجلات فاختمر نشاطه الصحفي من خلال القضايا التي كان يلاحظها في بيئة المنطقة وبذلك تكون مرحلة استقرار مبارك الميلي بالأغواط من أخصب مراحل حياته وجهوده كما يسميها بني الاغواط العصر الذهبي للأغواط ، والتي ترك فيها فضل لا يزال يذكره أهل المنطقة إذ خلف أثار جليلة لم تتوقف بمغادرته من الاغواط فقد استمرت بتلاميذه الذين رفعوا لواء شيخهم وحذوا حذوه وارتبطت أسماءهم بجمعية علماء المسلمين، لذا فان مبارك الميلي المصلح هو الذي وضع اللبنات الأولى لنواة الحركة الإصلاحية بالأغواط خاصة والجنوب عامة.

شكّل الشيخ أحمد شطة أحد أبرز الرموز العلمية والدينية في مدينة الأغواط خلال النصف الأول من القرن العشرين، وقد اقترن اسمه بالنهضة الإصلاحية التي شهدتها المنطقة في تلك الفترة، خاصة في ظل ظروف الاستعمار الفرنسي الذي سعى إلى طمس الهوية الدينية والثقافية للشعب الجزائري. لقد تلقى الشيخ تعليمه العالي في جامع الزيتونة بتونس، هذا الصرح العلمي العريق الذي تخرّج منه عدد كبير من العلماء والدعاة والمصلحين في العالم الإسلامي. وقد نهل من علوم الشريعة واللغة العربية والفقه المقارن، وتأثر بأفكار النهضة التي دعا إليها كبار علماء الزيتونة أمثال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور. وعند عودته إلى الأغواط، حمل الشيخ أحمد شطة على عاتقه مهمة إحياء الوعي الديني بين الناس، ومحاربة الجهل والتخلف الفكري، الذي كان قد تفشى نتيجة للسياسات الاستعمارية في الجنوب الجزائري.

ساهم الشيخ بشكل فعّال في إعادة بعث التعليم الإسلامي التقليدي من خلال تأسيس الكتاتيب والمدارس الحرة، التي كانت تُدرّس القرآن الكريم وعلوم اللغة والشريعة، في وقت كانت فيه المدرسة الاستعمارية تعمل على فرنسة التعليم وتهميش اللغة العربية. كما كان له دور محوري في نشر مبادئ الإصلاح الديني، والدعوة إلى العودة إلى القرآن والسنة، وتنقية المعتقدات الدينية من البدع والخرافات، وهو ما جعله قريبًا في توجهه من خط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي سعت إلى تحقيق الأهداف ذاتها على المستوى الوطني. وإلى جانب نشاطه

التعليمي والدعوي، كان الشيخ أحمد شطة مثالاً للمصلح الاجتماعي، حيث شارك في حل النزاعات بين الأهالي، وسعى إلى توعية الناس بخطورة الاستعمار وضرورة الحفاظ على هويتهم الدينية والثقافية.

لم يكن الشيخ بمعزل عن الضغوط، فقد واجه مضايقات من قبل الإدارة الاستعمارية بسبب تأثيره الواسع على المجتمع المحلي، ورفضه للتعليم الفرنسي، وتأكيده المستمر على ضرورة التمسك بالعربية والإسلام كعنصرين أساسين للهوية الوطنية. ومع ذلك، لم تثنه هذه الضغوط عن مواصلة جهوده، فاستمر في أداء رسالته الإصلاحية حتى نهاية حياته، مخلفًا أثرًا عميقًا في الذاكرة المحلية، وأجيالاً من التلاميذ الذين حملوا فكره ومبادئه الإصلاحية إلى مناطق أخرى من الجزائر.

الملاحق

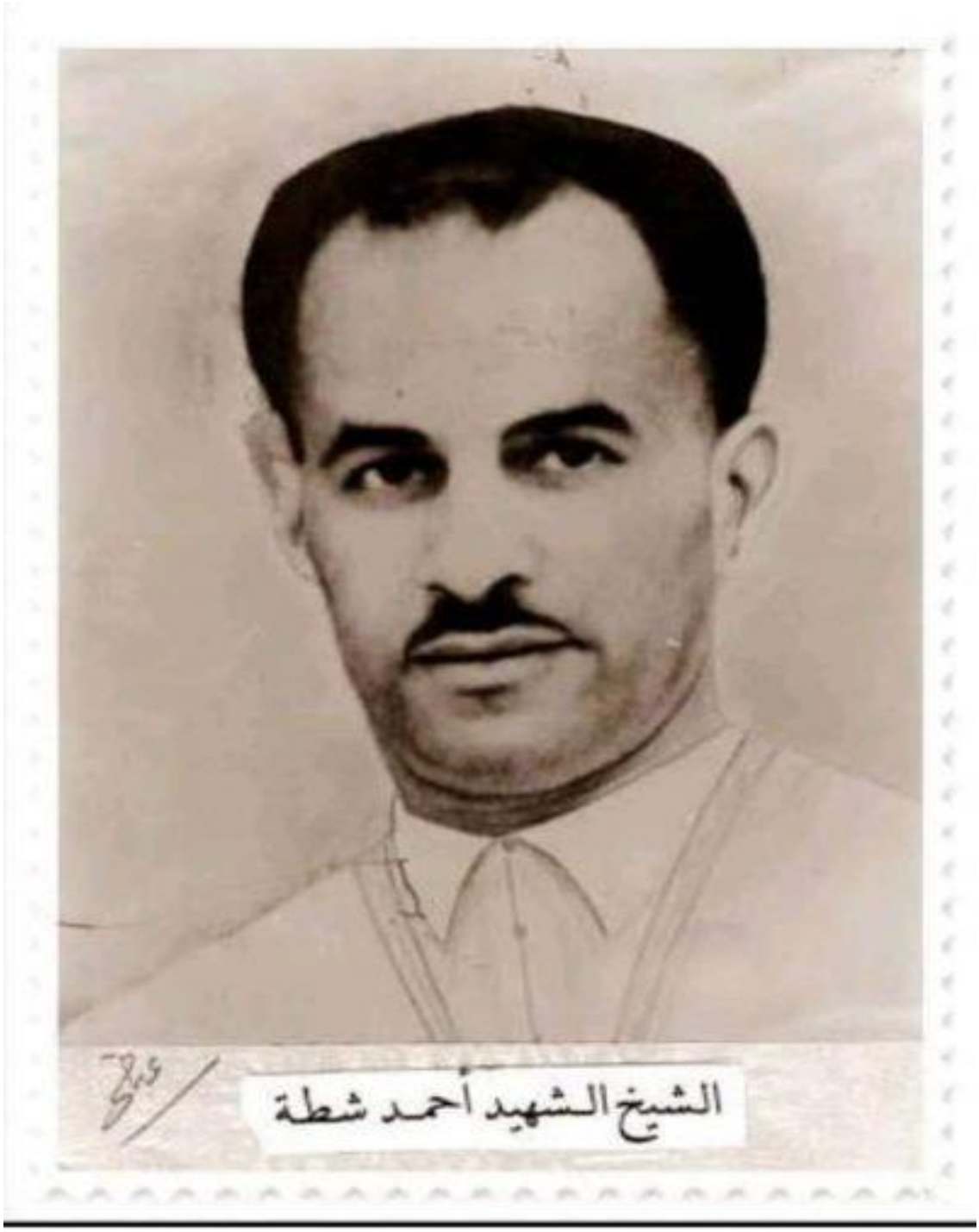

المصدر: موقع ويكيبديا

الشيخ مبارك الميلي

المصدر: موقع ويكيبديا

مدرسة الشبيبة للشيخ مبارك الميلي

المصدر: موقع ويكيبديا

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: الكتب

1. ابن أبي دينار، *المؤنس في أخبار إفريقية وتونس*، مطبعة تونسية، تونس، 1986.

2. ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، دار الكتاب العربي، بيروت، 1965.

3. ابن عداري المراكشي، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، تحقيق كولان بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، 1989.

4. أبو القاسم سعد الله، *الحركة الوطنية الجزائرية) 1900-1930(*، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

5. أحمد الطويلي، *في الحضارة العربية التونسية*، دار المعارف، تونس، د.ت.

6. أحمد أمين، *ظهر الإسلام*، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962.

7. أحمد توفيق المدني، *كتاب الجزائر*، دار المعارف، القاهرة، 1963.

8. أحمد توفيق المدني، *محاضرات في التاريخ واللغة*، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

9. إسماعيل أحمد باعي، *العالم العربي في الحديث والمعاصر*، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997.

10. بسام العسلي، *المجاهدون الجزائريون*، دار النفائس، بيروت، 1986.

11. حسين مؤنس، *المساجد*، عالم المعرفة، 1981.

12. خليل ابن الجيك، *تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار*، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2002.

13. خير الدين شترة، *إسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900-1939م)*، دار البصائر، أدرار، 2009.

14. زكريا الحفصي، *تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية*، تحقيق محمد منصور، مكتبة عتيقة، تونس، 1966.

15. السيد عبد العزيز سالم، *تاريخ المغرب في العصر الإسلامي*، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999.

16. الطاهر عبد الله، *الحركة الوطنية التونسية (1830-1956م)*، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، تونس.

17. عبد الحميد حسين حمودة، *تاريخ المغرب في العصر الإسلامي*، الدار الثقافية للنشر، 2002.

18. عبد العزيز الدولاتي، *عشرة قرون من الفن المعماري التونسي*، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1996.

19. عبد الكريم بوصفصاف، *الفكر العربي الحديث والمعاصر*، دار المداد، قسنطينة، 2009.

20. عبد الكريم بوصفصاف، *جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية) 1931-1945(*، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

21. عبد الكريم بوصفصاف، *معجم أعلام الجزائر في القرن التاسع عشر والعشرين*، دار مداد، المؤسسة الوطنية للمطبوعات، الجزائر.

22. عبد الله العروي، *مجمل تاريخ المغرب*، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1996.

23. علي مراد، *الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر) 1925-1940(*، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

24. محفوظ قداش، *تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية) 1919-1939(*، ترجمة أحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2008.

25. محمد الصالح رمضان، *العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية*، دار الفتح، الشارقة، 1995.

26. محمد الطاهر بن عاشور، *أليس الصبح بقريب*، دار سحنون، تونس، 2006.

27. محمد الطاهر فضلاء، *الطيب العقبي رائد لحركة الإصلاح الديني في الجزائر*، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007.

28. محمد العزيز بن عاشور، *مجامع الزيتونة: المعلم ورجاله*، دار ستراس للنشر، تونس، 1991.

29. محمد بن الخوجة، *صفحات من تاريخ تونس*، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

30. محمد علي دبوز، *نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة*، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.

31. محمد عمارة، *الشيخ البشير الإبراهيمي*، دار السلام، القاهرة.

32. محمود شيت خطاب، *قادة فتح المغرب العربي*، دار الفكر، 1974.

ثانيًا: المذكرات الأكاديمية

1. أحمد بن ذياب، "الأستاذ مبارك الميلي والصحافة"، *مجلة الأصالة*، العدد 68-69، 2011، وزارة الشؤون الدينية، تلمسان.

2. فوزية بن بوزيان، *محمد الطاهر بن عاشور ودوره الإصلاحي في تونس التعليم (1879-1973م)*، مذكرة ماستر، جامعة خيضر، بسكرة، 2018.

3. محمد بن سعد بن عبد الله القرني، *الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات*، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

4. جودي فطيمة، *النشاط الإصلاحي في الجزائر 1900-1939*، مذكرة ماستر، جامعة أدرار، 2020.

5. ديلمي آمنة ووقاف المقدودة، *دور الاتجاه الإصلاحي في تنشيط الحياة السياسية (1900-1954)*، مذكرة ماستر، جامعة المسيلة، 2020.

6. عبد القادر جيري، *الطلبة الجزائريون الزيتونيون وإسهامهم في الحركة الوطنية (1900-1954)*، مذكرة ماستر، جامعة العربي تبسي، 2015-2016.

7. نور الدين كوني، *التعليم عند الشيخ محمد الطاهر بن عاشور*، مذكرة ماستر، جامعة أدرار، 2016-2017.

8. وفاء الرياس، *الطلبة الجزائريون الزيتونيين والحركة الإصلاحية الجزائرية (1900-1954م)*، مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2013-2014.

ثالثًا: المجلات والمقالات العلمية

1. حميدي أبو بكر الصديق، *قضايا المغرب في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية (1900-1954)*، دار الهدى، الجزائر، 2015.

2. دهماني سهيلة، "الصحافة الإصلاحية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، *مجلة روافد الدراسات*، 2022.

3. رحماني عائلة، *الحركة العلمية في الدولة الحفصية (1227-1574م)*، مذكرة ماستر، جامعة 8 ماي 1945، 2016-2017.

4. عمار هلال، "الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي"، *مجلة الثقافة*، العدد 95، 1986.

5. كمال جحش، "موقف مبارك الميلي من التصوف"، *مجلة المعيار*، العدد 20، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2018.

6. مجلة الشهاب، أعداد مختلفة (1926–1933)، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

7. محمد مرغيت، "إشكالية المرأة الجزائرية في أدبيات صحيفة الشهاب"، *مجلة الحقيقة*، العدد 34، 2015، أدرار.

8. ناجي فرج الكوري، "ملامح الإصلاح التربوي في تفسير ابن عاشور"، *مجلة أصول الدين*.

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
الإهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	
الفصل الأول جامع الزيتونة	
المبحث الأول: نبذة عن جامع الزيتونة	
المبحث الثاني : التطور التاريخي الجامع الزيتونة	
المبحث الثالث: التطور العلمي الجامع الزيتونة	
الفصل الثاني : الحركة الإصلاحية في الجزائر	
المبحث الأول: تاريخ الحركة الإصلاحية	
المبحث الثاني ا: رواد الاصلاح في الجزائر :	
المبحث الثالث: جامع الزيتونة والحركة الإصلاحية في الجزائر	
الفصل الثالث: اثر جامع الزينونة على الحركة الإصلاحية في الاغواط	
المبحث الأول: النشاط الإصلاحي في منطقة الاغواط قبل مجيء مبارك الميلي:	
المبحث الثاني: النشاط الإصلاحي للشيخ مبارك الميلي	
المبحث الثالث : النشاط الإصلاحي أحمد شطة	
خاتمة	
الملاحق	
الببليوغرافيا	

ملخص الدراسة:

تتناول هذه الدراسة بالتحليل والبحث دور جامع الزيتونة في إحياء الحركة الإصلاحية في الجزائر خلال الفترة الممتدة من 1900 إلى 1954، مركّزة على مدينة الأغواط كنموذج تطبيقي لهذا التأثير. انطلقت الدراسة من إشكالية رئيسة مفادها: *إلى أي مدى ساهم جامع الزيتونة، عبر منهجه التعليمي وخريجيه، في تحفيز الوعي الإصلاحي والديني والاجتماعي في مدينة الأغواط؟*.

سعت الدراسة إلى إبراز كيفية تأثير النخب الزيتونية، من العلماء والمتعلمين، في بعث الروح الإصلاحية من خلال نشر قيم التنوير الديني، ومحاربة البدع والخرافات، وتشجيع التعليم العربي الإسلامي، وذلك في مواجهة الاستعمار الفرنسي الذي سعى إلى طمس الهوية الوطنية والدينية.

وتمثلت أهم نتائج الدراسة في أن جامع الزيتونة لم يكن مجرد مؤسسة دينية فحسب، بل كان منبرًا لنشر الفكر الإصلاحي في الجزائر، حيث لعب خريجوه من أبناء الأغواط دورًا محوريًا في تشكيل الوعي الجماعي، عبر تأسيس النوادي الثقافية والمدارس الحرة، والمشاركة في العمل الجمعوي والدعوي. كما بيّنت الدراسة أن هذه الحركة الإصلاحية كانت حلقة وصل بين مشروع النهضة في المشرق، ومنهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لاحقًا.

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، مع توظيف أدوات البحث الكيفي عبر الوثائق والمصادر التاريخية المحلية.

الكلمات المفتاحية:

جامع الزيتونة، الحركة الإصلاحية، الأغواط، الإصلاح الديني.

Abstract:

This study analyzes the role of *Al-Zaytuna Mosque* in reviving the reformist movement in Algeria during the period from 1900 to 1954, with a specific focus on the city of Laghouat as a practical example of this influence. The research is grounded in a central question: *To what extent did Al-Zaytuna Mosque, through its educational approach and alumni, contribute to fostering religious, social, and reformist awareness in the city of Laghouat?*

The study aims to highlight how the Zaytuna-educated elite—scholars and students—helped instill reformist ideals by promoting religious enlightenment, combating superstitions and un-Islamic practices, and encouraging Arabic Islamic education, all in resistance to the French colonial policy that sought to erase national and religious identity.

One of the main findings of the study is that Al-Zaytuna Mosque was not merely a religious institution but served as a platform for disseminating reformist thought across Algeria. Graduates from Laghouat played a vital role in shaping collective awareness by founding cultural clubs and free schools, and by engaging in community-based and religious outreach. The study also reveals that this reformist movement served as a bridge between the Eastern Arab renaissance project and the later approach of the Association of Algerian Muslim Ulama.

The study adopts a historical-analytical methodology, employing qualitative research tools based on local historical documents and sources.

Keywords:

Al-Zaytuna Mosque, Reformist Movement, Laghouat, Religious Reform.